الدكتور السيد الجميلي

المرأة في ميزان الطب والدين

الناشر
دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسيني - ت ٩٢٦١١٤٥

21
م

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الدكتور السيد الجميلي

المرأة في ميزان الطب والدين

الناشر
دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسيني - ت ٩٣٦١٢٥

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

جميع الحقوق محفوظة

مطابع دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته أن خلق لـــكم من أنفســـكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيـــات لقوم يتفكرون »

(صدق الله العظيم)

إهداء

الى كل زوجة ترى فى زوجها الأمل والمنى ..

ويجد فيها المتعة وفى كنفها النعيم المقيم ..

ومع أوقاتها تسكن نفسه وتطمئن جوارحه ، وتصدقه ان كذبه الناس ، ويستأنس بها من وحشة الأيـــام فى غربة الحيـــاة ان أهدر الدهر بقاءه ..

تكون عونا معه وليست عونا عليه ..

أهدى هذا الكتاب

د . السيد الجميلى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ..

وبعد ...

فان المنصف للحق منصف لنفسه ، لأن الفضل انما يرجع الى ذويه ، ومهما خلع المرء على نفسه من التكلف والصناعة فلابد أن يسبر غوره الآخرون سواء شعر أم لم يشعر ، فالذى يكذب الناس فيما يعرفون لا يصدقونه فيما لا يعرفون ، لأن ما بين أيديهم أولى بالصدق معه وبالصدق فيه .

ولقد طال الجدل والخلاف فى هذا العصر فى المرأة ، وحرية ارادتها وارادة حريتها . واختلف الناس فى مفهوم ممارستها العمل . بل اختلفوا فى معنى الحرية النسائية ، وهى عند البعض لها مفهوم خاص . وفى نظر المرأة لها معنى تؤوله على هواها وحسب مقتضياتها النفسية ، والمجتمع والشرع والدين يوضح ما هى هذه الحرية فى اطار الالتزام الخلقى السوى .

ونحن عادة نلتمس ــ كبشر ــ الأعذار لأنفسنا الى أسباب ترضينا لنهدىء من روعنا بقصد أو غير قصد ، **« يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها »**(١) .

---

(١) النحل : ١١١

فالأمر يومئذ لله فى عدل ونزاهة وحكمة تفوق بشريتنا ، لأنها عدل الهى مطلق •

وبين التقييد والاطلاق تدور مناقشات طويلة متصلة ، ومفارقات عجيبة بين مؤيد لهذه ومعارض لتلك ، والناس بين مناصر للمرأة ، ومناصر عليها منقسمين ومع كل هذا فنحن نحترق من لفح الشمس الحاضرة حتى أصبحنا لا نطيق غلالة تستر أجسادنا العارية التى تهب عليها نكباء العصرية والحضرية والتمدن •

وقد يقول نفر : انك لن تستطيع أن ترضى كل الناس فى بعض الوقت ، ولن تستطيع أن ترضى بعض الناس فى كل الوقت •

وعندئذ سأقول لهم على الفور بلا أدنى تردد : حسبى أن يرضى عنى الله •• خير ، وكفى •

حاولنا فى كتابنا هذا جلاء كثير من المفاهيم موضحين ما استغلق منها على الأفهام علميا ، وشرعيا ، وفقهيا ، وفلسفيا ، وطبيا ، منصفين متقين الله فى كل رأى وفى كل كلمة غير متحرف لقتال أو متحيز الى فئة • لعل الله يحسن موقعه من النفوس •

وضعنا نفس المرأة على مشرحة الطب . واستنجدنا بأصول علمية ، ونظريات فلسفية قوية البرهان وطيدة الحجة دامغة القرينة سديدة المنطق صائبة المصدر • وان كانت هناك لم من جانب حواء وذنوب فان هناك وهنا أعذارا قد التمسناها ومحاورات محتملة الوقوع مع ندرتها أو استحالتها . ومع أن العذر أقبح من الذنب فى كثير من الحالات •• لهذا فالمؤلف هو المدعى وهو المدعى عليه ، وهو المحامى وهو القاضى الذى يحكم بعد أناة وامعان وتمحيص واستقراء بعيدا عن الهوى والرياء •

ان المرأة كونها منوطة بالتكليف فى الاسلام ومعول عليها بالتزامات عقائدية ، ليعتبر ذلك تكريما لها أى تكريم ، لأن المأفون غير مسئول والمعتوه غير محاسب والمجنون لا يعول عليه خير •

وانى لأستبعد أن هناك امرأة تحب ما لا يرضى ربها أو لا تحب ما يرضى ربها ، انما الخطأ دائما ناجم عن سوء الفهم ، وسطحية الادراك وندرة الوجدان ، واختلاط الفكر ومن ثم كانت حاجتها الشديدة للاستئناس والارشاد •

مؤيدا لها مدافعا عنها حريصا عليها وفى نفس الوقت لائما لها مدعيا عليها شاهرا أمامها الحجة ، موجها لها العتاب المخلص . وأسأل الله أن يكون قولى هذا عليهن جميعا خفيفا سهل الهضم ، بردا وسلاما بدافع حسن النوايا حتى تنجو المركب بربانها وركابها من محيط الأيام حتى لا تتهشم على صخور الزيف أو تستقر فى القاع السحيق ، فاذا ما غضبن وثرن وأخذتهن العزة فان غضب الأمراء أهون علينا من غضب الله •

ولا يخامرنى شك أن المرأة العربية المصرية فى جل أطوارها وأحوالها والحمد لله عريقة الأصل كريمة المحتد ثرية الأخلاق فيها هدوء الطبيعة وجمال الأنوثة وطيبة القلب ونقاء السريرة ، بها صدر رحب فسيح وعقل راجح وتسامح ورضى وقناعة ، ذكية الذيل عفة اللسان طاهرة اليد ، تحب زوجها ان هو أكرمها وتكرس حياتها لسعادته ، زوجة ، وعشيقة ، وأما ، وأختا ، تعيش معه على الزمن عونا معه على الأيام وليس عونا مع الأيام عليه ، تجرى فى شراييينها حرارة الوفاء وخصوبة العطاء ••

ذلك حتى لا يكون للناس بعد ذلك حجة ••

القاهرة فى : ١٤ ربيع الثانى ١٤٠٠ هـ
أول مارس ١٩٨٠ م

د • السيد الجميلى

الفصل الأول

تشريح نفس المرأة

لمـــا كانت المرأة هى نصف المجتمع وهى المعول عليها فى تربية وتعليم النشء فى طوره التكوينى الأول ، من ثم كان الاهتمام بها فائقا حدود النعت والتقدير .

وفى تشريح نفسها طبيا وعلميـــا ونفسيا ، لابد من مراعاة الأمانة وتوخى الصدق لأن دراسات العلماء والمجتهدين حليتها وسمتها أن يسبق انصاف الحق فضيلة المجاملة ، ومن لا يقدر الحقيقة لا يقدره أحد .

ونفس المرأة خلق تكوينى مركب من أمزجة مختلفة ندر من يجلو بواطنها ، ويشق غبارها ويسبر غورها .

والاسلام كرم المرأة من أول وهلة ، لمولد الرسالة المحمدية منذ حرم وأد البنات الى أن أعطاها حقوقا كانت مسلوبة منها فى الجاهلية سنتحدث عنها فيما يلى من فصول الكتاب .

ولا يعرف الشىء مخلوق أكثر من صانعه لأنه هو الذى ركب أسراره ، وجمع دقائقه وشتاته فى صورة متماسكة وحيث ان نفس المرأة

مضمون لها درجته من الخطورة المركبة فان أى انسان لا يمكنه أن يحللها تحليلا شاملا وافيـــا مثل خالقها سبحانه جل شأنه : **« ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا »**(1) •

« هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »(2) •

« سبحان الذى خلق الأزواج كلهـا مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون »(3) •

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »(4) •

« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء »(5) •

هذه هى النفس الطيبة الذكية النقية الطاهرة التى يسكن اليها زوجها فيجد عندها الطمأنينة والهدوء والراحة من متاعب الحياة وحياة المتاعب فيتجـدد نشـــاطه وتبعث فى داخله الأمل المستمر والانشراح والبهجة وهى عون أى عون على الويلات التى تعصف بالزوج فى معترك العمر بين حين وحين ••

أما الزوجة الماكرة التى لا خير فيها والمرأة الناشز فقد حذر القرآن منها وخصـــها بالذم : **« ان من أزواجــكم وأولادكم عــدوا لـــكم فاحذروهم »**(6) •

---

(1) الاسراء : ٢٥

(2) البقرة : ١٨٧

(3) يس : ٣٦ •

(4) الروم : ٢١

(5) الاحزاب : ٣٢

(6) التغابن : ١٤

ومن هنا جنسية أى من جنس الأزواج وقد تكون بعضية والأخير هو الأرجح والله أعلم فانه ليس كل النساء أعداء لأزواجهن •

وقد تقدم بالقول أزواجكم على أولادكم •• وللعلم فان الرجل مقدم على المرأة فى الخطاب فى كل آيات القرآن الكريم تقريبا ما عدا هذا الموضع ، وفى آية الزنا من سورة النور أيضا حيث قال سبحانه وتعالى : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** »(1) •

وهنا قدم المرأة على الرجل ذلك لأن الزنا لا يمكن أن يحدث فى أى ظرف الا بالاستعداد النفسى والتأهيل السيكولوجى من جانب المرأة ، فكانت نفسها هى المدعى عليها والواقع عليها اللوم قبل الرجل •• « **انه من كيدكن ، ان كيدكن عظيم** »(2) •

وتمم النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب الكريم بسنته المطهرة :

« عفوا تعف نساؤكم » •

« النساء خلقن من ضلع أعوج ان جئت تقومه كسرته » •

« خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » أجل يا سيدى وشفيعى • وكذلك فهو القائل : « النساء خلقن من ضلع أعوج لا يعدله الا الطلاق » • صدق رسول الله ••

سمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد ... فرات فتلكم عند ذلك قرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن ... أجاج فلولا خشية الله فرت

---

(1) النور : ٢ (2) يوسف : ٢٨

فأمر باحضـــار زوجها فوجده متغير رائحة الفم فخيره جارية من المغنم أو خمسمائة درهم على طلاقها ، فاختار الخمسمائة درهم فدفعت اليه فخلى سبيلها •

فالقرآن يوضح لنا النفس السوية للزوجة ويبين لنا غير السوية ، وفى فصل « استئصال السرطان بالقرآن » سنرى تحليلا شاملا للعقوبات التى أوجبها القرآن لقاء انحرافها النفسى من هجر فى المضجع الى الضرب الغير مبرح الخ••

وهذا علاج ناجع ناجح شاف لم يجد الطب الحديث المتطور عقارا أشفى ولا أجدى منه •

* * *

يدافع الكثيرون من الغربيين عن حرية المرأة المطلقة اللا محدودة بزمان ومكان بفلسفة ركيكة ضعيفة البرهان اذ يقولون ان المرأة التى تملك أمرها وارادتها بنفسها أقل عنادا وأسهل قيادا من المرأة المسلوبة الارادة فى عهود الاستبداد وانما العناد هو احتجاج فطرى للمرأة على سلب ارادتها فاذا زال الاستعباد زال الموجب للعناد •• ومن ثم زال العناد بالتأثير •

وهذا القول يناقض نفسه ويهدم بناءه تلقائيا •• اذ كيف تملك أمرها بلا عناد وفى نفس الوقت تكون سهلة القياد ، ألا يعلمون أنها اذا ما ملكت أمرها ازداد عنادها وتعذر قيادها لأنها تصبح القائد وليس المقود •• واذا ما تنازل القائد فى ظرف من الظروف فان ذلك استثناء طارىء وليس قانونا عاما يقاس عليه ويعتمد أو يعتد به •

قال رجل الى « نابليون » الفاتح الغازى العظيم : لماذا لا تتزوج ابنة الملك دارا ، فهى على جمال وسحر وروعة ؟

فأجابه على الفور اجابة الرجل الحكيم الخبير العليم بتقاليب النفوس والأهواء : لقد غزونا العالم . وملكنا الدنيا فى قبضتنا ، وما أهون الدنيا علينا أن تملكنا امرأة .

ونفس المرأة ــ فى اعتقادى ــ أشبه بالحديقة الكثيفة الأشجار المتعانقة الخمائل ، وكلما اقتربت منها انحسر مجال الرؤية حتى اذا دخلها المرء وغزا أحشاءها خفيت معالمها حيال ناظريه ، فالذى يقترب من قرص الشمس لا يستطيع فتح عينيه أمامها أو اذا عدنا لمثل الحديقة فان جذع شجرة من الممكن أن يحجب الرؤية عنه .

قال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن » .

والمرأة لذلك لا يمكن أن تصل الى رتبة الرجل من الفكر ورجاحة العقل وثبات العصب ووقار الشعور والشاهد فى ذلك قوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »(1) .

فالقوامة للرجل والانفاق عليه وهو مناط التكليف والحديث قبل المرأة فى القرآن لأنه وصى عليها ولا تودع التكليفات الا للأقوى .

---

(1) النساء : ٣٤

من ثم كان – فى مواضع الاختيار والتقنين – الخطاب موجها الى الرجل دون المرأة ٠

« وأمرهم شورى بينهم »[1] ٠

« وشاورهم فى الأمر »[2] ٠

لذلك فالذى تراه المرأة وتقبله لا يصلح أن يكون معيارا يقاس عليه ٠

ولابد من اسناد آصرة الزوجية ووشيجة الحياة العائلية والشركة العاطفية بين الرجل والمرأة الى حب عارم جارف متدفق كالسيل المتصل ، ولذلك اشترطته الأديبة الفرنسية مدام دستيل اذ قالت :

« لا سعادة فى الحب بدون زواج » ٠

اذ لابد أن يتم الزواج بعد الحب حتى تكتمل السعادة وتبلغ منتهاها ٠٠

ويصحح المؤلف لها هذه المأثورة بقوله : « لا سعادة فى الزواج بدون حب » ٠

اذ لا مناص من قاعدة ثابتة راسخة من الحب والمودة والألفة بين الرجل والمرأة قبيل الزواج حتى نضمن أن ليس هناك ما يتوقع أن يهدم هذه الشركة يوما من الأيام ، وهذا ما لا يعترض عليه الشرع والدين ٠٠

والمرأة أكثر عناية من الرجل بمظهرها فى كل الأحوال ومختلف الطبقات ومتباين الطوائف لأنها تشعر ويسيطر عليها شعور دائم أن سلاحها وقوتها ودرجتها من التقييم فى جمالها قبل أى شىء آخر ٠

---

(١) الشورى : ٣٨٠

(٢) آل عمران : ١٥٩.

ونادرا ما تهتم امرأة بالمضمون اذ أن الجوهر هو موضع اهتمام الصفوة منهن وهى طائفة نفرد لها حديثا وموضعا خاصا لأنهن يتفوقن على الرجال ، ولكن مع ذلك كله غير مختصات بقوامة أو انفاق عليه •

اذا ما باليت بشىء غير المرأة التى تحبها فأنت فى رأيها لا تحبها لأن أفقها لا يتسع لغير هذا ، وقد تتهمك بجهل الحب وجمود الطبيعة وخشونة الذوق وجفاف السمت وامحال القلب وفراغ العاطفة •

والمرأة تخاف الرجل الذى يمضى مع غضبه وتخاف أكثر من الرجل الذى يملك غضبه وتخاف أكثر من هذا ومن ذاك من ذا الذى يملك غضب الآخرين ويسيطر عليهم وهم غاضبون •

وفى مغامرات الحب ومقامرات العواطف نرى المرأة تتدخل بقسط وفير وهمة ونشاط أحسبها هى المسئولة عن تدعيم وتوثيق آصرة المودة مع الرجل •

ولا أتصور ولا يسع ظنى أبدا ــ مجاهرا بذلك عالى الصوت ــ بأى حال من الأحوال أن تقوم علاقة مودة وولاء ووفاء بين رجل وبين امرأة فترة طويلة من الزمن دون أن يكون لالحاح الجسد فى اشباع نهمه الغريزى أثر فى توطيد هذه العلاقة وتقوية تلك الرابطة •

ولا أحب أن أقول ان المرأة كلها شر ، وشر ما فيها أنه لابد منها ولا غنى عنها •• فلست عدوا لها ولا مبغضا اياها ولا أحب يوما أن أكون كذلك •

والمرأة تحب الشجاعة فى الرجل وتهفو نفسها للرجل الذكى النبيه النظيف الرتيب ذو الشخصية القوية •

وعندما يتهيب الشاب المرأة ويتوجس من الحديث معها أو الافضاء اليها بمكنون شجونه ووكل عنه الصمت ولغة العيون فان هذه الهيبة تنتقل بالتأثير الى المرأة فتكون النتيجة أن يفترق الاثنان •

فاذا كانت المرأة حريصة على هذا الحب الوليد فى مهده ناوشته وراشقته بطريق أو بأخرى وألقت اليه بحبل وصالها ليتعلق بطرفه •

ومهما يكن من أمر فمجمل القول أن العلاقة بين الرجل والمرأة حرب ودية فيها الرجل بقوته العضلية وفتوره النفسى فى الموقف الصعب وفيها المرأة بشراستها النفسية وقوتها العملية فى ذلك الموقف •

وفى هذا المقام نقر بحق وعدل وحكمة أن قوة الرجل وفحولته عندما يستخدمها فى قهر زوجته تكون عاملا هاما فى انحرافها وانصرافها عنه وتعلقها بغيره ثم يصبح جسدها معه وروحها مع غيره ومن ثم تقع كوارث الخيانة الزوجية •

ونحن نقر أن المرأة مظلومة ، وقد جاهدت ظلما مريرا قاسيا طالما أساء اليها وأهان كرامتها وكبرياءها •

وتحب المرأة دائما كلمات التقدير والثناء مثلها مثل الرجل تماما الا أن هذا التقدير والاعجاب يمكث عندها فترة أطول مما يجعل أسلوب حياتها قد يتغير لقاء كلمة اعجاب أو اكبار أو ثناء •

ثم انها تحب الاهتمام بشخصيتها واللهفة عليها ، فاذا ما أحست أن فتى الأحلام انما جاءها لعلة أو لسبب غيرها أصابها العنت والضيق

كل اهتمام وشيك أن ينقلب فى نفس المرأة الى حب حتى الاهتمام بالازدراء والاحتقار •

وبين المقت والكراهة وبين الشفقة والرحمة يتسلل الحب الى صدرها ويستقر فى قلبها فيهدأ روعه وتسكن ثورته بنسمات الهوى الرقيقة وتنطوى شقة البعاد لا سيما اذا ما كان المكروه بصيرا بتوجيهات العواطف وتقاليب النفوس •

الظنون والهواجس فى الرجل ما أكثرها وهى قوية المراس والسلطان ، من ثم فان المنطق المفتوح يفتح الأبواب لشتى الاحتمالات ، أما اغلاقها ونفيها لا يكون الا ببرهان ودليل والأدلة القاطعة الجازمة قليلة •

الرجل واسع الأخيلة عريض الحيلة ••

والمرأة على النقيض منه •• فهى سريعة الاختلاج ، سهلة الاثارة ، سريعة الرضا والهدوء •

ولا تتمنى المرأة أن يتجزأ قلب زوجها أو ينصرف عنها أو يتحول الى أخرى ولو حتى جزء قليل منه ، ونحن نعرف أن الزواج من أخرى يضير الزوجة معنويا ونفسيا وهى الموت الزؤام ولا يتزوج زوجها بأخرى مهما كانت الحال •

بل أن الطلاق خير عندها من التعدد فى الزوجات ، وان كلاهما يضيرها أشد وأفدح الضرر ، وللمرأة فى حياتها كوارث من عوارض المرض والسقم والبلاء لكنها أهون وأيسر عندها من الضرة •

ويرى المؤلف الفرق بين التعدد وبين الطلاق هو نفسه الفرق بين الموت محترقا بالنار من الموت غرقا فى المـــاء •

كلاهما موت والنهاية واحدة لكن الموت بالنار أكثر رعبا وفزعا

من الموت غرقا فى لجاج المـاء ، ومن مظاهر ضعف الأنثى الغيرة المتمكنة من النفس المـالكة لقيادها •

والمرأة ليست مطالبة بالاجتهاد القرآنى مثلها مثل العوام البسطاء فليسوا مطالبين بالحكم على منهاج الله •

كذلك فليس لمن لا تتوفر لديه شروط الاجتهاد أن يبدى رأيه فى موقف اسلامى معين . انما المطلوب من هذا أو ذاك أن يأخذ برأى أو نظرية ، يتقبلها عقله وذوقه •

وليس معنى أن المرأة محظور عليـها اقتحـام ميدان البحث القرآنى أو أن عدم اقتحامها هذا المجال معناه أنها مسلوبة الارادة أو لديها قصور خاص فى شىء هام يسىء الى أنوثتها وتكوينها ، لها أن تقرأ القرآن وأن تبدى استحسانها به وتفاعلها كيميائيا مع علمه ونصحه ولا عليها أن تقرأه ولكن ليس لها أن تتزعم مدرسة قرآنية •

* * *

ويعز علينا أن ينتهى هذا الباب دون أن ننوه أو نتوقف عند استعمال القرآن الدقيق للفظ « زوج » و « امرأة » •

فلقد استعمل « زوج » عندما تحدث عن زوج آدم (١) على حين

---

(١) البقرة : ٣٥ « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » الأعراف : ١٩ « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » ، طه : ١١٧ « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك » •

استعمل امرأة فى مثل : « امرأة العزيز »[1] و « امرأة نوح » و « امرأة لوط » و « امرأة فرعون »[2] ٠

ولا يصح أن نقول امرأة آدم كما لا يصح أن نقول زوج العزيز ولذلك فليس من اليسير استعمال هذه محل تلك ولا تلك محل هذه لأن هذه الهندسة الكلامية البيانية اللفظية هى التى تعطينا سر الدلالة فى الزوجية مناط العـــلاقة بين آدم وزوجه فى قصة أول زوجين من البشر ٠

ذلك لأن الزوجية هى مناط الموقف حكمة وآية أو تشريعا وحكما فى آية الزوجية :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »[3] ٠

وتفاصيل هذه المسألة فى كتابنا « الاعجاز البيانى فى القرآن » لمؤلف هذا الكتاب ٠

* * *

---

(١) يوسف : ٣٠ **« وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه »** ٠

(٢) التحريم : ١٠ **« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط »** التحريم : ١١ **« وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون »** ٠

(٣) الروم : ٢١

الفصل الثانى

العقيدة الاسلامية والمرأة

الاسلام دين الفطرة اذ أباح التزاوج والتناسل لأنه مطلب روحى والحاح غريزى وشبق فطرى بحت صرف لا قبل ببديله ومن المتعذر الاستغناء عنه : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »**(١) •

« هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »(٢) •

هذا مع العدل بغير أذى : **« ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا »**(٣) •
لأن العلاقة اشترط فيها السكن والمودة والرحمة من بدايتها •

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(٤) •

« وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم • وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله »(٥) •

---

(١) الروم : ٢١
(٢) البقرة : ١٨٧
(٣) البقرة : ٢٣١
(٤) النساء : ١
(٥) النور : ٣٢ ، ٣٣

قال صلى الله عليه وسلم : « الزواج من سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » صدقت يا رسول الله •

ولا نتصور ولا يتسع خيالنا أن ثمة زواجا يقوم لغير الدافع الجنسى الحسى الذى يشد الطرفين كلا منهما للآخر ولكن فى اطار من التآلف والرحمة جاذبا اليه مجالا واسعا من العطف والمودة بين كليهما •

وتشرط لمعاشرة المعروف والاحسان : **« وعاشروهن بالمعروف »**(1) •

« فامساك بمعروف أو تسريح باحسان »(2) •

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم »(3) •

واستبعد أن تنكر امرأة الضرورة النفسية فى النزوع الى الرجل بحكم فطرتها السوية والا فيكون ثمة خرق للناموس •

القرآن الكريم يكرم الزوجة ويضع لها منهاجا حكيما لو أنها التزمت وسارت على منواله ما أخطأتها فضيلة ، وما نالها أذى وما ألمت بها نائبة وكسبت الدنيا ولما خسرت الآخرة •

وفى هذه الحال من الزواج السليم مع الزوجة السوية نفر الاسلام من الطلاق فجعله ملعونا :

« لعن الله كل مزواج مطلاق » •

« لعن الله الذواقين والذواقات » •

« لعن الله كل ذواق مطلاق » •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان أبغض الحلال عند الله الطلاق » •

---

(1) النساء : ١٩ (2) البقرة : ٢٢٩

(3) الطلاق : ٦

والقرآن يخول للمرأة الحرية الكاملة فى طلب الطلاق اذا كرهت زوجها : **« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »**(١) •

واذا طلقت المرأة وهى حامل من حقها أن تطالب زوجها بالانفاق عليها حتى تضع حملها : **« وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن »**(٢) •

فاذا وضعت حملها فرضاعة ولدها سنتان والنفقة مستمرة • **« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده »**(٣) •

منهاج شريف وسلوك قويم ••

وهى مع هذا كله ملتزمة بأصول الشرع والدين بحدوده التى وردت بصريح اللفظ والعبارة فى القرآن الكريم وكل ما ورد صريحا فلا اجتهاد فيه ولا اختلاف عليه :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »(٤) •

وللرجل حق القوامة على المرأة لأنه أفضل منها :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »(٥) •

---

(١) النساء : ١٢٨
(٢) الطلاق : ٦
(٣) البقرة : ٢٣٣
(٤) البقرة : ٢٢٨
(٥) النساء : ٣٤

لم يقل وبما أنفقن لأن النفقة على الرجل •

وللذين ينادون بمساواة المرأة بالرجل نقول لهم :

« لا يجوز التسوية بين اثنين مختلفين فى الحقوق والواجبات » ، وذلك لأن ميزان العدل الصحيح هو التسوية بين الرجل وواجباته •

وما ورد صريح اللفظ والعبارة فى القرآن لا يجوز التحايل عليه أو تعديله لأنه منهاج الله وشريعته •

والرجل هو المتصدر لكوارث الحياة الذى يخوض غمار الحياة ويلتطم بويلاتها ويرتطم بصخرة مصائبها ، وان استبداد الحكومات ونظم الطغيان أصاب الرجل أكثر مما أصاب المرأة ، ومن اللجاجة أن يعدل سجل الكون فى طور من أطوار الحياة ، فهو شامل يحتوى على كل دقائق الكون وخفايا جوانبه •

ومن السفه أن يعزى عجز المرأة عن مجاراة الرجل فى الأعمال العامة ناشئا عن قلة ممارستها ومزاولتها لتلك الأعمال ، لأنها تزاول أعمال البيت من ألوف السنين ولكنا نقول : ان الرجل يبزها أيضا فى مثل هذه الأعمال الخاصة بها فهو أقدر منها فى الطهو وأعمال المنزل والأثاث وتطريز الثياب ومختلف فنون التجميل •

والرجال أقدر على الفكاهة من النساء •

والتكليف للمرأة مثل الرجل •• لها أن تصلى فى المسجد وفى الجامعة وفى البيت ، ومن حقها أن تؤدى فريضة الحج مع محرم خاص سافرة غير مقنعة ، وتبايع النبى مثلما بايعه الرجال ، وعليها صوم رمضان والزكاة •

الا أنه لا يجوز لها تولى منصب القضاء ولا يحق لها الامامة فى المسجد ولا يمكن أن تعتلى المنبر لتخطب للمسلمين وليس صحيحا أن تتولى منصب النيابة •

كما لا تطيق حراسة الطرق والمواصلات ووقاية السابلة من أخطار المركبات •

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »(1) •

وحيث ان الرجل هو المتجشم لكل نفقات الحياة والاعالة ، فانه وحده المتكبد لأوزار قد تشاركه المرأة فيها •

قال تعالى : **« ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة • فتشقى »**(2) •

لم يقل فتشقيا كما اقتضى الأسلوب ، لكنه قال : **« فتشقى »** جعل الشقاء لآدم وحده فالرجل مخلوق للنصب والتعب والمكابدة ومصادمة المخاطر ، والمرأة مخلوقة له تمتص متاعبه وتريح مكدود جسده ونواحى نفسه فيطمئن اليها ويطمئن بها ويسكن عندها من ثورته تغسل أتراحه وتجدد أفراحه •

وكلمة : **«لتسكنوا اليها»**(3) فالسكون لا يكون الا بعد حركة •

أما المرأة الزانية الباغية فمن المسئول عن انحرافها ؟ هل هو زوجها المعول عليه ؟ أم هى نفسها ؟ وما هى الدوافع الأساسية النفسية لهذه المسألة ؟

---

(1) النساء : ٣٢
(2) طه : ١١٧
(3) الروم : ٢١

كلمة لابد أن تقال ولابد أن تدون فى سجل الحياة ، وهى أن الكثيرين من الرجـــال مسئولون عن انحـــلال أسرهم وتفكك أواصرها وانحراف زوجاتهم وهم لا يشعرون •

سنطرق لذلك أمثلة وهى ليست على سبيل الحصر :

الرجل البخيل مثلا ، حريص على الدنيـــا مقتر على نفس أهله وعلى نفسه هو ، ذلك أمر معروف ••

فاذا ما تزوج من عقيلة من العقائل الكريمة التى تحب الضيوف وتلتزم بأصـــول الواجبات والمجامـــلات والزيارات الودية العائليـــة للأصدقاء •• كانت الكارثة •• وتطاول التعارض واحتدم الجدال والخلاف وهى بعد حين بعيد أو قصير تكون قد ارتبطت به بأبنائها اذ يصبح من المتعذر انفصالهما فيصبح الاثنان على أحر من الجمر التياعا •• ويزدحم بينهما العراك والنفور •• وهو يندب حظه وهى تندب حظها •• حتى اذا ما صادفها شاب كريم سخى معطاء لقاء ظروف معينة سرعان ما تندرج تحت هيمنته ، وذلك لأنه يتفق وميولها اذ ترى فيه العطاء والسخاء والرقة ••

مصيبة أخرى •• أدهى وأمر عندما يحدث النقيض ، عندما يتزوج رجل كريم من امرأة بخيلة •• اذ أن المشكلة الأولى ستصبح مضاعفة لأن المرأة البخيلة ترضع البخل لأبنائها فى لبنها ، والزوجة البخيلة نادرا ما تنحرف وقلما تندرج وراء العواطف لأن عواطف البخلاء جامدة •

الرجل الخفيف غير الرزين يضايق زوجته دائما لأنها تتوسم العقل فى الرجل الثابت الثقيل الوزن الحاضر البديهة ، ولعلها عندما تفاجأ أن

زوجها غير مؤهل برصيد كاف أو لديه ثروة لائقة من الذكاء والنباهة تضيق به ذرعا وسرعان ما تمله وتتصرف عنه •

الرجل العصابى السريع الغضب يكبت زوجته ، وهذا لا تتمشى طبيعته من طبيعة الزوجة التى تحب دائما الرقة فى المعاملة واللين والمداعبة والملاطفة •

المرأة تحب من زوجها أن يغار عليها ، وتكره أن يتمادى فى غيرته فتصل الى حد الاعتزال التام عن المجتمع ، والمراقبة التى تشير — فى اعتقادها — الى التشكك وعدم الثقة بالنفس ومن ثم نراها تلجأ مرغمة الى نهج سلوك النقيض لتثبت أنها جديرة وخليقة بأن تفعل ما تريد وما تشـــاء •

عن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين •• لا أنا ولا زوجى • فقال لها : ومالك من زوجك ؟ قالت : مر باحضاره ، فأحضر ، فاذا به رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر أن يؤخذ من شعره ويؤخذ ليدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به • وفعل ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن ؟ فقال لها عمر : اتقى الله وأطيعى زوجك • قالت : أفعل يا أمير المؤمنين • فلما ولت قال عمر : تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن •

مسألة أخرى أهم من هذا كله لابد من لفت أنظار الرجل اليها وهى أن المرأة لها شعور خـــاص تعتز به وتحافظ عليـــه وتتمسك به وهو

احساسها فى اللقاء الجنسى •• وهو أمر مشوب دائما بالحذر والاحتراس فى أغلب الأحايين •• وليست الفحولة الجنسية مسألة نقاش فى هذا الصدد انما مسألة ارضـــاء الطرف الآخر •• فبعض الرجال ينصرف عن زوجته بمجرد أن يقضى حاجته منها ثم يتركها غير مبال بعواطفها غير مكترث بشعورها غير آبه بأحاسيسها ، ولا يعلم ولا يدرى أن ذلك يترك فى نفسها أثرا كبيرا سيئا ، لا تنساه أبدا •

اذن لابد من الملاعبة والمداعبة والملاطفة قبيل الممارسة الحسية ومراعاة تجاوب الزوجة ومدى استجابتها لحافز الذكر ، فاذا ما أقبلت عليه مارس الغريزة معها بشهوة دافقة متجددة كلها متعة واشباع وارضاء فطرى مثمر •• هذه مسألة طبية بحتة •

وما القول فى الرجل الذى تنبعث من فمه رائحة كريهة أثناء النهار وتزداد بالليل •• وتلمس رجلا آخرا كريم الخلق طيب الريح ، مضمخ بالعطر •• لابد أن تنحرف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، ثم اذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » •

وقد عبر النبى بالحاجة عن شهوة الرجل وعن شهوة المرأة فى احتشام وحياء نبوى كريم •

روى عن على رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال له : انى تزوجت امرأة مجنونة • فقالت المرأة : يا أمير المؤمنين •• انه يأخذنى عند الجماع غشية • فقال على للرجل : ما أنت لها بأهل •

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الوقاع قبل الملاعبة أو بدونها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » ؟

وقال أيضا : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلــون ذلك فزنت نساؤهم » •

اذن النظافة والطهارة وجمال المظهر من أهم ما يشد الأنثى للذكر ويزيد من تعلقها به وتلهفها عليه وشبقها نحوه •

ولهذه الأسباب نرى الرجل مسئولا تماما عن انحراف زوجته وهروبها الى منعطفات الانحلال لتعوض ما فاتها فى زوجها •

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت » رواه أحمد والطبرانى •

* * *

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين • فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين • وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون • وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »[1]

---

(١) القصص : ٧ ــ ١٠

أوحى الله تبارك وتعالى الى أم موسى أن ترضعه فان هى خافت عليه من بطش فرعون أمرها أن تلقيه فى اليم •• ثم أمنها وطمأن قلبها وهدأ من روعها لما قال : « **ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين** » •

كيف يتسع أفق المرأة العادية أو قل حتى جيدة الايمان •• أن تلقى بفلذة كبدها فى اليم وهى طائرة الصدر ، فؤاد أشوس وجأش واثق من صدق الوعد الالهى الحق •

هذا بلا جرم يؤكد لنا أن المرأة عندما يتمكن الايمان من أعماقها ويحتويها كافة ، وتحتويه ، انما تسمو الى رتبة الملكية الصرفة ذات النقاء والصفاء المطلق الى غير انتهاء •

طراز مثالى للمرأة جيدة الايمان التى يملك عليها ايمانها ناصية أمرها فيدنو منها ويرقى عندها على أى شىء آخر •

ووف الله بوعده وأبر بها فأعاد اليها ابنها مرة أخرى وقرت عينها به فأفرغ روعها وذهبت بلابلها •

* * *

لما اشتد ساعد موسى وقويت بنيته وتصلبت شوكته وكان ما كان من فتوته ، فلما أن نفس عليه قومه وجاءه الناصح بالهروب من البلد غادرها متجها الى أرض مدين : « **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** »[1] •

---

(١) القصص : ٢٣

ما ان حل بأرض مدين وعاج بأحضانها حتى وجد على مورد مياهها فتاتين تذودان ماشيتهما ، ابتدرهما بالسؤال عن أمرهما : « **قال ما خطبكما ، قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير** »[1] •

فى رقة واحتشام وحياء أفادتاه بالنتيجة المعروفة ، وهنا ينجلى ضرورة عمل المرأة فى هذا المقام •• اذ أن أباهما شيخ كبير ، لا يقدر طبعا على العمل •

ولما كان شعور الانسان ينقسم الى مظاهر ثلاثة كما يرى علماء النفس :

الادراك

والوجدان

والنزوع

فان الدين يمنع الادراك حتى يمتنع الوجدان من ثم لا يقع النزوع الذى هو بعينه الجريمة التى تستوجب الردع والعقاب •

« **يدنين عليهن من جلابيبهن** »[2] •

حتى يمتنع الادراك •

ومهمة الأنثى تنبيه الغرائز التى ما جاء الاسلام ــ وهو دين الفطرة ــ ليمحوها وانما جاء لينسقها وليهذبها حتى تستوى سرحتها •

ولا يمنع أبدا أن تخرج المرأة للعمل ما دامت قوية الشخصية ملتزمة بأصول التقاليد فهى لابد أن تراعى ألا يكون مظهرها مثيرا للغرائز حافزا للشهوة جالبا للاغراء •

---

(١) القصص : ٢٣ — (٢) الأحزاب : ٥٩

ثم انها لا يجب أن تقف فى أماكن الزحام ، انما تنتظر حتى ينفض السامر ثم تقدم هى فتنال وطرها وتقضى مطلبها بعيدا عن الالتحام الجسدى المشين الذى ينفر منه الشرع والدين •

وفى هذا الموقف أيضا ينجلى موقف الرجل من المرأة ، وهو أن يخف لانجادها ويساعدها ويعاونها على ذلك فى ايثار وفضيلة •

فلا مانع من ممارسة المرأة العمل وخروجها اليه ما دامت ملتزمة بحدود الشرع والدين فى اطار العفة وطهارة الذيل •

جاء الرسل والأنبياء ليحملوا الناس على منهج الله ، وفى هذا السبيل وفى لقائه ومن جراء هذا المنهاج لاقوا ما لاقوه من حسيكة وضغينة وقد تجانف عنهم أقربون وناهضهم كثيرون من ذويهم الذين آدهم أن تنتزع عقائدهم الدارسة من نفوسهم الضعيفة •

لكن كان النصر فى النهاية للمنهاج الالهى وللتشريع السماوى الحكيم الذى يريده الله فى كل حقبة حتى يهدى الناس سواء السبيل •

وكان من الأحرى للأنبياء أن يحملوا زوجاتهم على منهج الله الا أن القرآن الكريم أعطانا أمثلة حية صادقة عن اختلاف العقيدة عند زوجات أنبياء صالحين •

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين »[1] •

---

(١) التحريم : ١٠

فالرسول الذى جاء للناس كافة فى عصره وغير عصره لم يستطع أن يحمل امرأته على اتباع دعوته التى جاء بها للخليقة •

من ثم ينجلى أن للمرأة الحرية الكاملة فى اختيار عقيدتها التى تؤمن بها وتثق فيها •

ثم قال الحق تبارك وتعالى :

« وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »(١) •

فرعون الذى ادعى الألوهية لم يستطع أن يدخل الالحاد والكفر الى نفس امرأته ، ومن هنا نرى أن اصرار المرأة على الأمر لا يمكن أن تتحول عنه مهما كان زوجها قوى الأسر واسع الحيلة فلابد أن تكون حرية العقيدة صادرة من اقتناعها الخاص بعيدا عن الاكراه وعن الالزام •

فالمكره على شىء لا خير فيه ولا خير منه ، ولا أمان اليه ، لا سيما فى قضية الايمان اذ لابد أن تطمئن الجوارح وتقر الأحشاء ، حتى تستطعم حلاوة الايمان بالله جل وعلا •

والقرآن حريص على حرية العقيدة فيقول :

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٢) •

« لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى »(٣) •

« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »(٤) •

* * *

(١) التحريم : ١١
(٢) يونس : ٩٩
(٣) البقرة : ٢٥٦
(٤) النحل : ١٠٦

لا يرى الاسلام أن المرأة تملك ، الا أنه ضرب لنا مثلا على ذلك وهى بلقيس التى ملكت قومها موضحا بذلك أنها تعقل وتفكر وتتصرف بحكمة وحلم وأناة وتصرف الأمور بدقة ، وأن عقلها راجح يتسع للأخذ والعطاء والدراسة والاسترشاد والتماس النصيحة عند أولى الأمر •

لمـــا أرسل سليمان الكتاب بعد أن جاء به الهدهد قالت بلقيس لقومها :

« انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم • ألا تعلوا على وأتونى مسلمين »(١) •

قرأت هذا على قومها ولم تستأثر نفسها بالرأى أو أخذ القرار انما موقف معتدل سواء اذ عرضت الأمر على مستشاريها •

قالت لقومها : **« ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون »(٢) •**

توهم رجال جيشها أنها ربما تخشى أن تزج ببلدها فى أتون حرب ضارية لا قبل لها بها ، فكانت النتيجة أن قالوا لها :

« نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك »(٣) •

هنا تبدو رجاحة العقل والفطنة والذكاء وفى نفس الوقت الطاعة المطلقة والائتمار للملكة التى أحبت قومها وأحبها قومها •

وفى ذكاء خارق لناموس الطبيعة فكرت وانتهت الى اختبار فلسفى تضع سليمان حياله ، وهذا يبين حصافة وادراك وعمق فكرى نادر •

---

(١) النمل : ٣٠ ، ٣١ (٢) النمل : ٣٢

(٣) النمل : ٣٤

قالت : سأرسل اليه بهدية ، فان قبل الهدية أعلم أنه طالب دنيا يسعى الى مغنم مادى ؟ لتسبر غوره وتعرف ما خفى من معالمه ٠٠ وأرسلت الهدية لسليمان فقال لها :

« أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون »(١) ٠

قالت : نذهب اليه فهو انسان لا يريد المـــال ، له منهج ودعوة ٠
قال سليمان : **« أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين »(٢) ٠**

وجاء العرش ، وكان ما كان من أحداث هذه القصة الرائعة التى سردها القرآن الكريم فى روعة وبيان ٠

ولا يجب المرور السريع على هذه القصة دون معايشة أحداثها أو أطوار سردها الرائع وخليق بنا أن نعتبر من آثارها ولننظر كيف تحكم المرأة قوما أولى بأس شديد وتتصرف بحكمة وحلم وأناة وهى متربعة على العرش الأمر فى يدها ومقاليد الحكم دونها جميعا والرجال والجنود والقوم فى خدمتها جادين غير متقاعسين ٠

* * *

المرأة جديرة بالاحترام والتقدير ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى أم موسى لتكون من المؤمنين ، قال تعالى :

« وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »(٣) ٠

---

(١) النمل : ٣٦
(٢) النمل : ٣٨
(٣) القصص : ١٠

وكان سياق الكلام يتطلب أن يقول : « لتكون من المؤمنات » لا **« لتكون من المؤمنين »** •

ولكن خصها برتبة أعلى وأرقى وهى رتبة المؤمنين لعمومها وشمولها ولأن المؤمنين أقوى فى كل الأحوال من المؤمنات •

كذلك ضرب الله مثلا لمريم التى اصطفاها وطهرها وفضلها على نساء العالمين ، وقد خصها الله سبحانه وتعالى برعاية وعناية فائقة •

« يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »(١)

فى صفوة القول ومجمل الحصر نصل الى أن المرأة لها حريتها العقائدية ولها عقلها ولها ذكاؤها الذى تتصرف من خلاله فى أمورها الخاصة ، وعليها يقع وزر التقصير والتقاعس ، وهى تحكم القوم وقد تأسرهم بذكائهـا فيقتنعوا بسـطانها ومراسـها فيلتزموا بأوامرهـا ويكونون على أهبة الاستعداد اذا ما هبت نكباء العدوان على عرشها •

بل ان الجد والتفانى ومظهر الطاعة المطلقة العمياء للملكة يؤكد نجاحها فى ادارة البلاط وعدالتها بين رعيتها وسداد خطواتها ، لأن الطاعة وليدة الرضا والاطمئنان لا سيما فى مثل هذا الموقف ، فقد كان من الممكن أو من المتوقع أن يعترض نفر على رأيها أو يبدى رأيا آخر انما تفويض الأمر كله وارجاعه اليها يوضح لنا الثقة العظمى التى أولوها اياها •

* * *

---

(١) آل عمران : ٤٢

الفصل الثالث

الذكر والأنثى

« وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى »[1] .

« وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى »[2] .

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون »[3] .

« والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى »[4] .

ومثلما لليل مهمته والنهار مهمته فالكفاح للزوج والسكن للزوجة . لا يمكن انكار المطلب النفسى والروحى للزواج كما لا يمكن تجاهل الجانب الشهوانى الجسدى لأنه الأساس ، فراغ ينشد الامتلاء .

فالطبيعة تخشى الفراغ وتفزع منه وتأباه كما يقول قديم الحكماء .

ولكن فى كل الأحوال فان الزواج مطلب أسمى للتزاوج والتكاثر والعمران .

---

(١) النجم : ٤٥

(٢) الليل : ٣ ، ٤

(٣) يس : ٣٦

(٤) الليل : ١ ـ ٤

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(١) .

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفـــدة »(٢) .

فهنا مهمة المرأة سكن للزوج ومودة ورحمة ، وتناسل وتكاثر حتى يتصل ويستمر ويبقى الجنس البشرى ، وطبيعة تكوين الرجل وكيماويته وخشونته تختلف تماما عن طبيعة تكوين المرأة وكيماويتها ورقتها ، لأن التكوين المقنع تدخلت فيه الهرمونات الجنسية التناسلية فى كل منهما وهى المسئولة عن غلظة الذكر وهى كذلك المسئولة عن رقة الأنثى .

الطبيعة جعلت من الرجل صنديدا قويا ليتلاءم ذلك مع الكد والجد والاجتهاد .

والمرأة على النقيض فيها الليونة واللدونة والسهولة واليسر حتى اذا ما اجتمع الاثنان والتصقا صار الناجم أو الناتج مزاجا معتدلا .

بين الحار والبارد مزاج سوى معتدل لا هو حار ولا هو رطب .

هرمون التستوستيرون فى الذكر يقوى العضلات ويبنى الجسم من كافة أقطاره ومختلف نواحيه ، وفى نفس الوقت يقوى العظام ويساعد على التئام الكسور وهذا الهرمون تفرزه خصيتا الرجل ، وهو مسئول عن ظهور العلامات الجنسية التناسلية الثانوية مثل ظهور شعر الشارب واللحية وغلظة الصوت وبناء الهيكل العضلى والعظمى فى كفاءة واقتدار .

---

(١) النساء : ١ (٢) النحل : ٧٢

وهذا الهرمون هو الذى يحفز الرغبة الجنسية ومن آثاره عملية انتصـاب القضيب عند الجماع يقابله فى المرأة أو الأنثى هرمـون البروجستيرون وهذا الأخير مسئول أيضا عن السمات الجنسية الثانوية فى الأنثى مع هرمون الاستروجين من ظهور الثديين وتكوين المبايض وتطورها مع بناء الرحم والمهبل والقناة التناسلية جميعها ، كذلك هما المسئولان عن الرغبة الجنسية وحفز عملية الالتقاء الجنسى مع الرجل •

هذه الهرمونات مختلفة تماما فى الرجل عنها فى الأنثى كل واحد منهما له تركيبه الكيماوى الفارماكولوجى الخـاص المختلف به وفيه عن الآخر •

فاذا ما كان البناء مختلفا من أساسه فكيف يتساوى هذا مع ذاك ؟

ثم ان هناك شيئا آخر وهو أن العامل السيكلوجى النفسى وهو شعور الرجل بأنه رجل ، وشعور الأنثى بأنها أنثى وهذا أمر آخر له أهميته وله درجته من التقدير ومن التقييم العلمى •

وللذين يزعمون بأن المرأة مساوية للرجل فى كافة الحقوق والواجبات وأنها يعول عليها مثله تماما فى كل مواقع العمل ولها مثل ما له وعليها مثلما عليه من أعباء ، أقول لهم بوضوح : هل من الممكن أن تنتظر أن تأتى الفتاة يوما من الأيام فتعجبها سمات شاب من الشباب فتذهب لأهله وتقول لهم :

لقد أعجبنى ابنكم فلان وتوسمت فيه الصلاحية الزوجية وأرجو أن تزوجونى اياه •• فما رأيكم ؟ •

قطعا لن يحدث ذلك أبدا لا فى مجتمعنا ولا فى أى مجتمع آخر ؛

لأن المعروف والمعهود فى كل عصر وفى كل قرن أن الرجل هو الذى يسعى الى المرأة وهذا يؤكد طبعا أنه أقوى بنية وأكثر تكاملا •

وهب أن مثل هذه الواقعة حدثت أو قد تحـــدث فى مجتمع من المجتمعات •• فان ذلك يعتبر شذوذ عن القاعدة وخروج على الناموس وطفرة لا يقـــاس عليها ولا يؤخذ بها كما جرت عـــادات البحوث والاحصائيات •

وأعرف فى حياتى الخاصة بنات كثر من عائلات محترمة جدا راقية من الطبقة الارستقراطية فى رغيد من الحياة ونعيم مقيم من العيش الا أن ظروفهن تعقدت وتعثر حظهن فى الزواج ، منهن من تزوجت ولم يفلح القدر فى اسعادها مع زوجها فطلقت منه ، ومنهن من لم يتم زواجها من فتى الأحلام لظروف عرضت ، ومنهن من تتسامى على خطابها من الشبان وتنتظر شخصية خيالية تنتظر صاحبها ليطرق عليها الباب يوما من الأيام •• لكن النتيجة واحدة فى كل هذه الحالات :

البنت البكر والثيب والمخطوبة المفسوخ خطبتها لسبب أو لآخر كلهن فى بيت العائلة الكبير •• وفى كل هذه الأحوال أرى الأب والام والاخوة مشفقين على البنت مراعين ظروفها الخاصة ومن ثم يلبون كل متطلباتها واحتياجاتها الخاصة جادين فى تلبية رغباتها لكن رغم كل هذه الطاقات والامدادات — بل لا أزال — أرى فى عيونهن جميعا وفى أعصابهن جميعا توتر وقلق واضطراب واختلاج وعدم استقرار لأن الفتاة العذراء أو البنت الثيب تشعر أنها رغم كل هذه السعادة وهذا الترف والثراء قد فاتها شىء كبير وكلما مرت عليها الأعوام وتخطتها الثلاثون فان القلق والارهاق يزداد عليها يوما بعد يوم وتبدأ تعانى وتشكو من

أمراض نفسية شديدة الخطورة من أهمها فقدان وقلة الثقة بالنفس والتشكك فى أنوثتها وأنها لم تعد تثير شهوة الرجل .

بهذا تشعر الأنثى بالنقص الشديد والحرج الأشد عندما ترى زميلاتها فى بيوت الزوجية أنجبن بنين وبنات ومشين مع ناموس الحياة فلبين رغبة الحياة منهن وأدين وظيفة النسل التى ما خلقت المرأة الا لها وما خلقت لغيرها .

عن خنساء بنت خذام أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت . فأتت رسول الله فرد نكاحه .

ولما قدم القرآن الثيب على البكر فى قوله تعالى : « **ثيبات وأبكارا** »(١) . فربما ذلك لأن الثيب أشرف من البكر أحيانا والله أعلم .

ومن ثم كان حديث النبى صلى الله عليه وسلم من الصحاح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال :

« لا تنكح الثيب حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن واذنها السكوت » .

وقوله عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صمتها » .

---

(١) التحريم : ٥

وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج ، فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها :

ما يمنعك من التزويج ؟ قالت : وما فيه من الخير ؟ قلن : وهل لذة العيش الا فى التزويج ؟ قالت : فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع ؟

فقالت احداهن : زوجى عونى فى الشدائد وهو عائدى دون كل عائد ، ان غضبت عطف وان مرضت لطف •

قالت : نعم الشيء هذا •

قالت الأخرى : زوجى لما عنانى كافى ، ولما أسقمنى شافى ، عرقه المسك المطرق وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد •

قالت : هذا خير منه •

قالت الأخرى : زوجى الشعار حين أبرد وأنيسى حين أفرد •

فتزوجت من فورها فقلن لها : يا فلانة •• كيف رأيت التزويج اذن ؟

قالت : أنعم النعيم وسرور لا يوصف ولذة ليس منها خلف •

هذه عقيلة ملوك وبيت مجد وعلية قوم كل ما هى فيه من مجد وأبهة وعظمة لكن كل ذلك لم يغنها عن التزويج •

المرأة قد تحب سنين طوالا. لكنها تبغض فى يوم واحد وتستطيع كتمان ذلك فى صدرها فينجلى ذلك فى وجهها وعلى لسانها •

والرجل يحب أكثر السنوات ويقوى على كتمان بغضه ولكنه اذا أحب يوما واحدا شهدت جوارحه بذلك وفضحته عيونه •

ولا نعتقد أن رجلا واعيا عاقلا يرى فى زوجته المنى والطلب والسكن، ثم يلجأ الى التزوج من أخرى انما يلوذ بذلك من شدة الحيف الواقع عليه من طباعها أو عاداتها أو تقصيرها فى واجب الزوجية وحقوق الزوج •

ولابد للنجاح الأسرى من عمق الادراك عند الزوجة فلابد أن تعرف منغصات الزوج ومتاعبه فتقطع عليها مصدرها حتى يهنأ معها براحة البال وهدوء الطبيعة ، من ثم لا ينصرف عنها الى أخرى انما ينصرف اليها بكل مشاعره وأحاسيسه •

لا مندوحة ولا مفر من الزواج •• فان توافق الزوجان كانت السعادة والمتاع المنشود ، رجل أمين على زوجه مخلص اليها راض بها وزوجة بصيرة بأمور الحياة وشئونها تعرف تقاليب نفس زوجها ما يكدره وما يسعده ما يؤذيه وما يشقيه فيتكاتف الاثنان شريكان فى رحلة الحياة على حلوها ومرها فى أفراحها وأتراحها جسم واحد وروح واحدة •

لا يمكننا أن نتصور — بأية حال وكيفية — كيف كانت طبيعة الحياة لو لم يكن فيها الجنس الآخر •• حواء ، فلو كانت الدنيا رجالا ولا غير أو لو كانت المملكة الحيوانية بأسرها ذكورا وليس هناك اناث ، لانعدمت الشهوة لانعدام الأنثى لأن الشهوة لصيقة بها فاذا ما فقدت الشهوة فقد ضاعت متعة الحياة وبهجتها ورواؤها •

هكذا تحلو الحياة ويستطعم جمالها وبهاؤها ، من هنا كان تكامل الأنثى بالذكر موضع اثبات وبرهان عظمة واجلال للخالق سبحانه وتعالى •

قال تعالى : « **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله** »[1] •

هنا نرى جمال اللف والنشر فى روعة وسحر أسلوب الازدواج القرآنى الذى يعبر عن فلسفة راقية سامية فى هندسة كلامية وبناء لغظى شامخ متماسك اللبنات •

* * *

(١) القصص : ٧٣

الفصل الرابع

بين التقييد والاطلاق .. وكارثة التطور

« ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والوقار وفيها الخادم والرقيق ينعمان بأرغد العيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ولا تمس الأعراض بسوء .. »[1] .

أقام الاسلام الأسرة المسلمة على عفة المرأة واستواء خلقها وتمام تركيبها وصحة بنيانها ونقاء داخلها وطهر ذيلها .

« واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن »[2] .

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »[3] .

حتى ينظف المجتمع من أدران وأوساخ الابتذال المشين ورذائل الاباحية المطلقة وشرورها .

من ثم كان التشديد والحجر توخيا للانضباط .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة »[4] .

للتنكيل .

---

(١) مس « آنى رود » الكاتبة الانجليزية ، من كتاب « أهداف الأسرة فى الاسلام والتيارات المضادة » للأستاذ حسين محمد يوسف .

(٢) الأحزاب : ٥٣ (٣) الأحزاب : ٥٩ (٤) النور : ٢

وما كان التقييد فى بعض الأوقات وفى بعض الأحوال الا لصالح الخلية الأولية البنائية فى المجتمع ــ الأسرة ــ من جانب وفى جانب المجتمع نفسه من الناحية الأخرى •

وما كان الحجر على الاطلاق وتحديده وتهذيبه الا لمصلحة الأسرة وسعادة المجتمع كبناء متماسك موحد ، وبين التقييد والاطلاق وبعيدا عن كليهما تتمشى السعادة الاجتماعية فى أواصر الأمة تشد أطنابها نواحى لبناته وتقوى جداره وتقوم بناءه •

وما نزلت تكليفات السماء فى رسالة من الرسالات ولا أية دعوة نبى من الأنبيــاء الا فى حكمة بالغة مقننة مقدرة معمول حسابها ومرسوم منهاجها •

فان السماء لا تطالب البشر الا بما يطيقون ويحتملون ، فلا يصدق ولا يعقل أن يأتى تكليف الا بما تتحمله وتتجشمه النفس البشرية ، فالأديان السماوية لم تأت الا بما فيه ســعادة المجتمعات وتنسيق معيشتهم وتهذيب طباعهم وهى لا تطالب الناس بملكية صرفة أو ملائكية بحتة فوق بشريتهم ولا تقبل منهم كذلك خسة بهيمية •

وعندما قال القرآن الكريم : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** »(١) • أباح الأكل والشرب باطلاق ومنع الاسراف لأن فى الاسراف أذى ونصب •

وعندما قال : « **انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه** »(٢) •

---

(١) الأعراف : ٣١

(٢) البقرة : ١٧٣

تقييد فى موضع واباحة فى موضع آخر •• وهذا لحكمة ، وذلك لمنفعة يعلمها الله ولا يهم أن نعلمها نحن أو لا نعلمها •• والكثير من الأشياء التى يحجر الدين عليها ولا نعلمها لابد أنه سبحانه بعلمه الغيبى الأزلى يعرف ويعلم أنها لا تناسبنا ولأنه علمه واسع الى غير انتهاء ولأن علمنا — كبشر — محدود فانه مسدد موجه الى الهدف السديد الذى لا يخطىء ولا يزل •

« وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »(١) •

وحكم الانسان فى الأمور العقائدية محدود ولا يؤخذ به فى كثير من الأحيان لأن حكمه مقياس لعلمه وعلمه قليل وهذا من جانب ، ومن الجانب الآخر فان عاطفة الانسان وطبيعة تكوينه ومزاجه الفطرى كل ذلك يتدخل فى توجيه نظرته ورأيه وحكمه فى الأشياء والظواهر وعليها ولا جرم أن حكم المرء على الشىء يصرفه فيه بيئته التى نشأ فيها وفطرته التى فطر عليها ، وليس ذلك مصدر تقييم أو تقنين •

من ثم لم تحرم الذات العلية والقدرة الالهية الانسان المسكين المخلوق فى كبد ومعاناة ومشقة لم تحرمه من الارشاد والتوجيه •

وتفيدنا الاحصائيات بانقراض مستمر فى عذرية المجتمع المتحرر الثائر على التقاليد والمتحرر على الالتزام والتكليف بدواعى التقدمية والتطور ومجاراة العصر •

أى تقدم هذا ؟ وأى عصر هذا ؟

---

(١) النساء : ١٩.

يقول الكاتب الأمريكى « الدكتور كنسى »[1] فى كتابه عن « المرأة والحب » عرض فيه طرفا من الفوضى الجنسية والابتذال الغريزى التى انحدر اليها المجتمع الأمريكى نتيجة الانحلال والتسيب والاباحية جاء فيه :

١ — أن هناك ١٠٠ر٠٠٠ فتاة سنويا يغرر بهن الرجال ويفقدن عذريتهن ولا سند مما اضطرهن الى احتراف الهوى .

٢ — كانت الفتاة الأمريكية فى المــاضى تتحول الى امرأة فيما بين السابعة عشرة والعشرين أما الآن فانها تصبح امرأة فى الثالثة عشرة .

٣ — نسبة الفتيات اللاتى تزوجن وهن على تمام العلم بما هو الزواج عن طريق المباشرة يبلغ ٧٠ ٪ وهذه النسبة من المنتظر زيادتها الى ٨٠ ٪ .

وعلاقة الشاب والشابة أو الطالب والطالبة فى المدن الأوروبية هى علاقة جنسية كريهة الرائحة والأدهى والامر أن الأبوين يعرفان ذلك تماما ويتركان الحبل على الغارب وذلك لأن ابنتهما أصبحت حرة طليقة فى طور المسئولية وليس من حقهما التدخل فى شئونها الخاصة .

وجميع الأديان السماوية حرمت الزنا وما من دين سماوى الا ومقته وتوعد من يحترف ممارسة البغاء .

« يا حسرة على العبــاد ، ما يأتيــهم من رســول الا كانوا به يستهزئون »[2] .

---

(١) جريدة النداء فى ٢٥/٤/١٩٥٠ .

(٢) يس : ٣٠

ولما قال القرآن الكريم : « **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا** »[1] .

فقد ورد النهى عن مقدمات الزنا وليس عن الزنا نفسه مباشرة انما ينهى عن المقدمات مثل القبلة واللمسة والبسمة وتراشق النظر .

ويشترك الرجل والمرأة فى مسئولية الوقوع فى أحبولة هذه الخطيئة التى حرمتها الأديان السماوية جمعاء الا أن المرأة هى المسئول الأول قبل الرجل بدليل أنه تقدم ذكرها على الرجل فى قوله تعالى :

« **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** »[2] .

فتقدمت الزانية على الزانى مع أن الرجل مقدم على المرأة فى كل آيات القرآن الكريم تقريبا لأنه مناط التكليف لأنه الاقوى والافضل .

« **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** »[3] .

الا أن صفوة القول ومجمل التجربة وعصارة الخبرة النفسية أنه يجدر بنا القول فى اطمئنان وثبات أن الجريمة لا يمكن أن تقع بغير التأهيل النفسى السيكلوجى من جانب المرأة وهى فى ذلك ملومة كل اللوم لأن قدرتها على الرفض أقوى من قدرة الرجل على النيل منها .

فاذا ما ادعين أن هناك اغتصاب فى بعض الحالات نرد عليهن بالقول

---

(١) الاسراء : ٣٢ (٢) النور : ٢

(٣) النساء : ٣٤

أن هذه المواقف نادرة الحدوث وعادة جرت البحوث على عموم التجارب ولا يلتفت الى الطفرات التى لا يقاس عليها فى الحكم على الأشياء حكما علميا سويا •

* * *

اذن لابد من ردع هذه الجريمة ـ جريمة البغاء ـ بالعقار الوقائى الناجح الشاف وهو منع وكسر حافز اثارة الشهوة البهيمية فى دم الناس •

« وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو ••• »(١)

كيف كن يطقن هذا الالتزام فى الملبس وأرض الجزيرة العربية رمضاء مجدبة ملتهبة بقيظ الصيف وحرارة الهجير تلك البيئة الصحراوية الجافة التى يرعوى فيها الجفاف •

لهف نفسى وعجبى من بنات وفتيات هذا الجيل •

واذا ما لبست المرأة الخمار واحتشمت غاية الاحتشام والحياء ولم تترك الا عيناها فقط وأسدلت على بدنها ستارا من كل جوانبه وعلى كل أفكاره فاننا نشهد أنه قد تعطلت اثارتها للرجل •• لكنا نكون قد أغفلنا اثارة الرجل لها •• فاذا ما رأت شابا وسيما قسيما امتلأت عيناها منه ، فمن يضمن لنا الاحتراس من مغبة افتتانها به ورغبتها فيه اذا ما تحركت الغريزة فى باطنها ؟ ••

---

(١) النور : ٣١

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »(١) •

والخمار : هو غطاء الرأس و « الجيب » هو النحر مع مقدم الصدر •

وفى قوله تعـالى : **« ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »** يقصـد بها الخلاخيل ، اذن يجب بموجب هذه الآية سـتر الساقين حتى مكان الزينة منها أى العقبين •

يقول صلى الله عليه وسلم عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر بثياب رقاق قال :

« يا أسماء •• ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا •• وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه •

وتحكى السيدة عائشة : « كن نساء المؤمنات يشهدن مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متلفحات بمروطهن ثم ينقلبن الى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الغلس » •

* * *

---

(١) النور : ٣١

ويتغمزن من فرط الاستخفاف بالاحتشام وهن مبتذلات منحلات أهدرن القيم وأسأن الى الخلق السوى الكريم وحسبن أنهن متطورات وما شعرن بما هن فيه من قذارة وانحلال وتسيب وبذاءة !!

ألا فلتعلم كل امرأة عاقلة أن الاسلام كرمها وحرم جسدها على غير بعلها فلا تثير الا هو ، ولا تمارس مزاجها الخاص الا معه وفى ذلك جمال لا نهاية له •

أما علمن هؤلاء المتحررات •• أن الذى تملكه اليد تعافه النفس والذى لا تملكه اليد تتلهفه العواطف وتشتهيه النفوس ؟

وأحب شيء الى الانسان ما منعا •• وكل ممنوع متبوع •

ولتعلم أن الخمار يزيدها حلاوة وجمالا ورونقا وبه ترضى ربها وترضى نفسها •

* * *

الفصل الخامس

فرية طبية

الذكى دائما مناور يكذب أحيانا ان لم يكن دائما ، ولا يزال يكذب حتى يتدرج الى درجة خطيرة من الاحتراف . الذى يصل الى التمويه الكامل على الأخطاء وتحويل نقيضها الى حقائق علمية .

والكذب على خلق الله فى أمور الدنيا قد يجد مسوغا له من المماراة والمجاملة .. فما بالك بالذى يكذب على الله فى أمور الدين والعقيدة ليضلل الناس وليغوى المجتمعات ؟

فرية طبية .. أكذوبة حقيرة .. جريمة علمية .. ما هى ؟

يعتقد الأمريكيون أن بقاء البنت العذراء حتى عمر متأخر يصيبها بمرض السرطان .. فلابد من التخلص من العذرية بأسرع ما يمكن .

وهنا لابد من وقفات طوال .. اذا كان ذلك نتيجة بحوث طبية علمية ودراسات بريئة .. فلا غبار عليها ولكن يعن ويظهر لنا سؤال ضرورى :

— ومن الذى يفض العذرية هذه ؟؟ هل أوصوا بعرض البنت على طبيب متخصص ليفض عذريتها أم أن رفيقها وعشيقها هو الذى يفعل ذلك وحده ؟

امرأة أغناها فرجها وأسعدها نزوعها الحسى عن الآخرة فلا خير فيهـــا !!

أما القانون الانجليزى فيحدد عمر الثانية عشرة للبلوغ عند الفتاة من حقها فيه أن تمارس البغاء علنا ، وفى لندن منازل وبيوت كثيرة فى نواحى متفرقة من لندن تتناثر عارضات البغاء أنفسهن من سن الثالثة عشرة فى عمر الزهور وتحت سمع وبصر أهليها وذويها لكسب لقمة العيش.

يا خسارتها من تجارة .

مهانة نفسية واذلال وقهر للمرأة .. وهى تؤكد أنما خلقت المرأة للشهوة البهيمية — لمدة ثوان معدودة الى أن يقذف الذكر بمنيه فى فرجها .. وبعدها يبصق فى وجهها ..

ما أحطها من تجارة عرفتها البشرية فى عصر الفضاء .. لا جزاها الله غير الاذلال على ذلها والامتهان على مهانتها .

ولم يحرمهم الله سبحانه وتعالى ولم يحرمهن من الأمراض النفسية المستعصية التى تقاوم العلاج وتستعصى على الشفاء فحياتهم اليومية تتنقل بين التوتر والقلق والضغوط — كل لحظة وبين فينة وفينة — من حال الى حال .

وما وجدنا امرأة عاهرة زانية الا وتتكالب عليها جراثيم الأمراض الفتاكة وجحافل الاكتئاب والعقد النفسية المروعة التى لا علاج لها فى معجم العقاقير الطبية المعاصرة المتطورة .

يالها من شقوة وضياع ..

ولقد ذكر الكاتب الأمريكى « أريك جون ونج وول » فى كتابه

« المرأة الأمريكية » : أن فى الولايات المتحدة الأمريكية نحو عشرين مليونا من النساء يعانين من أمراض نفسية وعصبية •

وتنتشر ظاهرة اللواط بين الأوروبيين الرجال منهم وهكذا تقابلها ظاهرة « السحاق » بين النساء الأوروبيات[1] •

والشذوذ الجنسى ظاهرة عاديـــة عند الأوروبيين لأنهم ألفوهـــا وعاشوها حتى صارت فى برنامجهم اليومى ضمن قائمة نشاطات اليوم مثل المأكل والمشرب بل وعندهم ممارسة الغريزة شيء مقدس •

ويقرب من عشرين مليونا يمارسون اللواط • كما أن الجامعة ــ قلعة العلم ــ المحراب المقدس لا تخلو ثنياتها من الرواج والترويج والاعلان عن اللواط وينتشر اللواط بين كبار الرجال منصبا وعلما ودرجة •

والسحاق : وهو أن تفضى المرأة الى المرأة أكثر من اللواط انتشارا •

قال صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل الى الرجل ، ولا تفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد » رواه أحمد ومسلم وأبو داوود •

قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا فى احدى ثلاث : زنا بعد احصان فانه يرجم • ورجل خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض • أو يقتل نفسا فيقتل بها » • رواه أبو داوود والنسائى •

---

(١) مجلة الدعوة عدد يوليو سنة ١٩٧٨ •

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « احفظ ما بين فكيك وما بين فرجيك أضمن لك الجنة » •

الخيانة الزوجية لا تصلح سببا للطلاق فى أوروبا •• ولماذا ؟ لأنها ليست جنحة أو جناية فى اقترافها تعد للقانون •

فى ألمانيا الغربية فى ٨ يونيو سنة ١٩٧٣ م ، وافق البرلمان على مشروع قانون الحكومة باجراء تعديلات(١) خطيرة فى قوانين الجنس أهمها :

ــ رفع الحظر على تبادل الزوجات •

ــ اباحة ممارسة الشذوذ الجنسى بموافقة الطرفين بين الرجال ابتداء من ١٨ ــ ٢١ سنة •

ــ السماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة العارية لأى فتى أو فتاة جاوز عمره ١٨ سنة •

وقد وافق ٩٠ (تسعون) من رجال الدين الأمريكيون فى ندوة عقدوها فى نيويورك على عدم استنكار ممارسة الشذوذ الجنسى اذا كانت قائمة على عاطفة الحب (٢) ••

والرهبان ورجال الدين أنفسهم محرومون من الزواج مبالغة فى العفة والطهر والنقاء رغم أن فطرة الانسان مجبولة على هذه الشهوة التى هذبها الاسلام وحدد ضروراتها وأبان لنا سوى ممارستها على الوجه الصحيح فى اطار الشرعية •

---

(١) الأهرام فى ٩ / ٦ / ١٩٧٣ •

(٢) الأهرام فى ١٩٦٧/١١/٣٠

نشرت مجلة « لى ميلر » الفرنسية :

تزوجت الفتاتان « لونا أنبلوم — ٢١ سنة » و « ايرين لندة — ٢٣ سنة » من الدانمرك كل منهما الأخرى •• وتم هذا الزواج تحت رعاية وتبريك الكنيسة •

هل هذا يليق بالآدمية التى من أجلها خلق الانسان وخلقت لتكريمه على فصيلة الحيوان • والتى ورثت الأرض التى جعلها الله لعبـــاده الصالحين •

« أن الأرض يرثها عبادى الصالحون »(١) •

ومن المؤسف أن يتم هذا الاهدار لقيم الفضيلة الآدمية تحت تبريك ورعاية الكنيسة • جرم فاضح وكارثة خلقية دينية أهانت تشريعات السماء عند هؤلاء القوم الضالين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم •• وهم لا يشعرون •

* * *

(١) الأنبياء : ١٠٥

الفصل السادس

استئصال السرطان بالقرآن

تعدد الزوجات .. أجل .. وما الحكمة فيه ؟

الطلاق .. انه أبغض الحلال الى الله ..

اذا خلت الحياة الزوجية من السكن ومن المودة ومن الرحمة .. ما العمل ؟

اذا جمعت جدران البيت عدوين كلا منهما يتربص بالآخر الدوائر ويتمنى له الزوال سخطا وغضبا ونقمة ؟

لن نقول امرأة ناشز فقط ، بل سنقول أيضا ورجل أهوج خفيف العقل طائر القلب وتجمعت المصيبتان فى مكان وزمان .. تنافر القطبان وصارت العشرة جحيما لا يطاق ولا يؤمن الاستمرار فيها وبها ، وضيق الأفق دائما يجعل المتاعب مستمرة والمشاكل متصلة لا مناص ولا مندوحة فى مثل هذه الأحوال من تعدد الزوجات أو الطلاق لبتر هذا الفساد والتحلل الذى قد يؤدى الى أوخم العواقب التى لا يضمن لها انتهاء .

وقد يكون ــ بل لابد أن يكون ــ فى الطلاق رحمة بالاثنين لأنه قد يسعد كل واحد منهما غيره والله أعلم ، ومن ثم كان لابد من اللجوء الى الطلاق فى حالات الضرورة القصوى .

الأغنياء قادرون على الانفاق وأقدر على تعدد الزوجات فهل معنى ذلك أنهم يتخذون رخصة التعدد حرفة أو تسلية ؟ كلا لو أجرينا احصائية للأغنياء الذين تعددت زوجاتهم ما وجدناهم ذوات نسبة تذكر •

ونحن لا ننكر أبدا أن المرأة الناشزة كالسرطان الذى يهدم كل جسد المرء ويقوض بناءه لأنها تدمر كل آصرة الأسرة بغباوتها •

وفى ذلك قصة لامرأة ناشزة خاصمت زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه فقال الزوج :

أصلح الله الأمير •• ان شر المرأة كبرها ، فانها اذا كبرت عقم رحمها ، ونبا لسانها ، وبذأ طبعها ، وساء خلقها •

والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله •

قال زياد : صدقت • وحكم له بها •

وفى مثل هذه الأعراض فيما بعد انقطاع الدورة الشهرية وانطواء شباب خصوبتها يسميها أطباء أمراض النساء بـــ « توتر سن اليأس » •

* * *

« واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا • وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا »(1) •

الموعظة الحسنة أولا وهى أضعف الايمان فان لم تفلح فالهجر فى المضجع عقوبة نفسية تؤذى المرأة فى كبريائها وفى أنوثتها وفى وجودها فتلين قناتها ويثلم حدها وتعوج صعدتها • ثم الضرب ان لم يفلح هذا أو ذاك •

وليس معنى اباحة الضرب ايجابه فى كل الحالات •• لأن ثمة فرقا كبيرا بينهما فشتان ما بين الاباحة والايجاب •

قال صلى الله عليه وسلم : « أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ، يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره » صدقت يا رسول الله •

وكثيرات من النساء لا يتأدبن ولا يتهذبن الا بالضرب ، ولا يعتدلن بغيره •

ويؤكد هذا الطب النفسى الحديث اذ يبين لنا أن الضرب علاج لكثير من المرضى النفسيين وقد قرأت فى كتاب فى الطب النفسى لمؤلف انجليزى كبير ، يرى أن الضرب علاج حاسم شاف لمرضى الشيزوفرينيا •

* * *

---

(1) النساء : ٣٤ ، ٣٥

الضرب •• ومقتضيات العصر

الضرب مسألة قاسية وتصرف اندفاعى عشوائى فى نظر الكثيرين الذين لا يعلمون •

والذين يتسع أفقهم الى الواقع الواضح السافر بعيدا عن الهوى أو الانحراف **يصدقون على الضرب كعلاج حاسم** شاف ناجع تتأدب به بعض النسوة •

المرأة التى لا تستجيب للنصيحة والارشاد وتبقى على نشوزها مصممة •

ولا يؤثر فيها كبح شهوتها والاستغناء عن أنوثتها وجمالها بهجرها فى المضجع فترة من الزمن ••

هل هذه المخلوقة سوية فى عقلها ؟ كلا وألف كلا ••

ولا شك أن الهجر فى المضجع تعذيب جسدى شهوانى للرجل مثلما هو للمرأة على حد السواء ••

فان الرجل الذى تعود أن يعاشر زوجته كل يوم أو كل يومين أو ثلاثة تقريبا لا شك ولا جرم أنه يعانى من أشد أنواع التعذيب وهو يهجرها أسبوعين أو ثلاثة أو شهر مثلا • ولابد أن نفهم تماما أنه ما استغنى عن هذه المتعة أو اللذة العظيمة الا من كرب وبلاء وهوان عانى منه وقاسى من لأوائه •• كان الله فى العون •

والزوجة التى لم يفلح معها عظة حسنة ولا هجر فى مضجع اما أحد حلين :

١ ــ الضرب

٢ ــ الطلاق

وقد وجدنا أنها تتجاوب بالضرب فى أغلب الأحايين •

لذلك فالضرب من معجزات القرآن الكريم فى علاج مرض النشوز وهذا ما يتفق مع أحدث ما وصل اليه علم النفس العصرى •

أما المرأة السوية فنصيبها المودة والرحمة والسكن •

وهناك نوعان من النشوز فى نفس المرأة :

(أ) المسلك الخضوعى « ماسوشيزم » وفيه تتلذذ المرأة بالضرب والتعذيب والتنكيل ولا تستريح الا بالعنف ولا تهدأ ثائرتها الا بالقسوة فى الضرب •

(ب) المسلك التحكمى « السادزم » : وفيه تتلذذ المرأة بالتحكم والسيطرة وتوقع الأذى بالغير والضرب لها هنا نافع ومجرب أيضا •

* * *

الفصل السابع

تكلم حتى أراك

سمت الانسان يدل على معدنه ، والناس معادن •

هذا يوسف الصديق السجين يقول لأقرانه فى السجن :

« لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما »(١) •

لأنه أوتى الحكمة وتفسير وتأويل الأحاديث •

ثم يقول فى تواضع وبعيدا عن الكبر :

« ذلكما مما علمنى ربى »(٢) فبأى سبب • على عكس قارون اللعين الذى قال : **« انما أوتيته على علم عندى »**(٣) •

لأنه : « تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون • واتبعت ملة آبائى »(٤) •

يرجع الفضل لله سبحانه وتعالى ثم يوضح اليهم أنه من سلالة الصالحين •

رجل سجين والسجين مشبوه بل مدين ، وما يودع فيه الا المشبوهين والمجرمين والمغضوب عليهم الضالين •

---

(١) يوسف : ٣٧
(٢) يوسف : ٣٧
(٣) القصص : ٧٨
(٤) يوسف : ٣٧ ، ٣٨

ورغم هذا يقولون له : **« انا نراك من المحسنين »**[1] •

كيف يرونه من المحسنين وهو سجين معهم ، وأين لهم بهذه الفراسة والاستقراء لهذا الحكم السديد •

الايمان يهذب كيماوية النفس البشرية ويجعلها ترقى الى رتبة الملكية النقية •• فطوبى له ولها •

هؤلاء السجناء امتازوا بالبصيرة الثاقبة وعمق الادراك فهم يرون الرجل المتهم معهم من المحسنين ويشهدون بذلك •

والاحسان رتبة ايمانية عليــا لا يتحلى به الا الفضلاء ، فماذا أوتى هؤلاء القوم من القوة حتى يستبينوا الاحسان فى سمت يوسف وفى هيأته ؟

قال تعــالى : **« قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمــا يدخل الايمان فى قلوبكم »**[2] •

فهم مسلمون وليسوا مؤمنين هكذا كان سمتهم يدل على ما أضمروا •

ويقول الحق تبارك وتعالى لنبيه الكريم :

« اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون »[3] •

عندما قال المنافقون : **« انك لرسول الله »** فهذا قول صحيح سليم •

فكيف يقول الحق انه يشهد أنهم لكاذبون ؟

---

(١) يوسف : ٣٦ — (٢) الحجرات : ١٤

(٣) المنافقون : ١

أجل لأنه يعلم ما فى نفوسهم لأن ما يجرى على اللسان بغير ما يكن فى السريرة فهم سطحيو الايمان يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، اذن فهناك لغة اللسان وهناك لغة القلب ، وقد انطلقت عندهم الأولى وتعطلت الثانية •

هذا تقديم لنصدق به على قول الفيلسوف الشهير الذى يقول : تكلم الى حتى أراك ••!!

ولم يقل حتى أسمعك ••

فمن لغة الكلام وتواتر مخارجه وانسياب معانيه يمكن الحكم على شخصية المتكلم وتحليلها تحليلا كيماويا يرجع بها الى أصول عنصرية أولية •

والمرأة من سمتها ومن حديثها وكلامها تقدم تكوينها وكيماوية عناصرها ومعدنها دون أن تشعر •

والقرآن الكريم يجلو لنا هذه المسألة عندما أمر أمهات المؤمنين نساء النبى ألا يخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض[1] •

والمرأة فى مضمار العمل هى المسئولة عن ابتذال شخصيتها وضياع هيبتها ووقارها ؛ لأنها تخضع فى القول وتعلل هذا بالتحرر والانطلاق والاباحية التى تجر عليها الوبال وغضب الله ، نعوذ به منه •

* * *

---

(١) بقوله تعالى : « **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض** » الأحزاب : ٣٢) •

نصائح أم اياس لابنتها

وصايا أم اياس لابنتها يجب أن تعيها كل أذن وأن يحفظها كل قلب وتتمسك بها كل نحيزة سوية وكل طبيعة سامية ، فى أى فتاة مقبلة على ميدان المستقبل ويجب أن تتمكن وتتوثق هذه الوصايا من داخلها فهى تذكرة سعادة شخصية وعائلية مدى الحياة فى مختلف الأزمنة ومتباين الأمكنة •

قالت أم اياس : أى بنية •• اعلمى لو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أهلها لكنت أغنى الناس ولكن للرجال خلقن ولهن خلق الرجال •

ويا ابنتى •• احفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا :

أما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالرضا والقناعة وحسن السمع والطاعة •

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع أنفه وموقع عينه • فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشمن منك الا أطيب ريح •

وأما الخامسة والسادسة : فالهدوء عند منامه والتفقد لوقت طعامه فان مرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة •

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله والارعاء على حشمه وعياله •

وأما التاسعة والعاشرة : فاياك أن تعصى له أمرا أو تفشى له سرا فانك ان عصيت أمره أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمنى غدره •

وأعظك بعد ذلك من الفرح ان كان ترحا ، أو من الترح ان كان فرحا •

***

ولا نعتقد أن امرأة أو زوجة فيها كل هذه الشمائل وكل هاتيك السجايا ، لا تحظى أو تظفر بغير الحدب والحب والعطف والرعاية من زوجها والتقدير والعرفان من الآخرين •

ونؤكد للأفهام والألباب الواعية ، والبصائر النافذة أن الرجل مهما بلغت درجة فحولته وتماسكه وثباته فان كلمة رقيقة ناعمة ملساء من المرأة تملك عليه قياد أمره ونياط فؤاده وسرعان ما يستسلم لأمواج الهوى الجارفة التى يذعن لتيارها المتدفق •

وكما أن الرجل يقع عليه وزر الكفاح والنشاط والعمل الدائب الدائم المتصل فى معترك هذه الحياة الا أن المرأة منوطة بمسئولية أكبر من هذا كله وأهم وهى مسئولية نفسية صرفه ، وهى التزام أدبى لأن متاعب اليوم فى العمل لابد أن يغسلها ساعات فى هدأة البيت ولحظات سعادة عائلية فيصبح للغد متجدد النشاط متدفق الحيوية وهذا كله لا يتم الا بالزوجة الفاضلة التى تمتص متاعب زوجها وتذيب موجدته ومعاناته ان هو وقع فى مأزق أو نزلت به نازلة •

لابد أن يشحن الجسم كل اليوم من بطارية السعادة العائلية فيمتلىء بالعزم والدأب والجد بحيوية ونشاط •

كثيرون من الناس عندما يصطدمون بصخرة الواقع المرير فى متاعب متصلة مع أزواجهم أو نساءهم نراهم وقد ضاقت أمامهم سبل الحياة واختنقت أفكارهم وتعطلت مبتكراتهم ويصبح الشغل الشاغل اليومى لهم هو المشاكل العائلية ، ومن هنا يتجمدون والطبيعة حولهم سيارة جادة فى السير وهم واقفون أمام مصائبهم لا يستطيعون منها فكاكا لأنهم يكونون قد تورطوا وأصبح من العسير اصلاح ما أفسده الدهر •

***

الفصل الثامن

ناموس الجمال والزواج

قال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج •

هذا أثير قول حكيم العرب البليغ •

وقال الشاعر القديم :

عليك اذا ما كنت لابد ناكحا ذوات الثنايا القر والأعين النجل
وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا قطوف الحظى بلهاء وافرة العقل

وقال آخر :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

وقال صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدمن » — المرأة الحسناء فى منبت السوء •

وقال : « ما رزق الله امرىء خيرا بعد طاعة الله من امرأة صالحة ، ان نظر اليها سرته وان أمرها أطاعته وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » صدق رسول الله •

هذا هو منزع القدماء ، الذى امتلأ به وجدانهم وحفلت به سرائرهم فهم يرون الجمال والسحر والرونق والوضاءة والقسامة من حوافز الشهوة الآدمية •

وفى غرائز نفوس الرجال هاتف اسمه الحسن والجمال المنشود فى الطرف الآخر ــ النساء ــ فالمرء يشتهى المرأة الحسناء ويشعر بأنه مقود اليها من داخله بغير أسباب ظاهرة انما هى بغية الباطن المقنع الذى لا نعرف عنه الا القليل ولا نستطيع أن نجد لظواهره تعليلا منطقيا مقبولا .. فاذا ما سألت : لمـــاذا نرى جمال المرأة مطلوبا أو مطلبا روحيـــا ونفسيا من كل الرجال ؟

وما فاق الجمال الا ولحقه قول :

ولن تصادف مرعى مونقا أبدا الا وجدت به آثار مأكول

وقال آخر :

ووردة الروض لولا حسن مظهرها لمـــا استطال عليها كف جانيها

قال الشاعر القديم يعدد محاسن النساء ويرى امرأة خيالية فى عالم اللاوجود تحتـــوى كل هذه الصفات ، وهو طبعا لم يرها ولا نراها فقال :

عليك اذا ما كنت لابد ناكحـــا ذوات الثنايا الغر والأعين النجل
وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا قطوف الخطى بلهاء وافرة العقل

بالله كيف نجد ذوات الثنايا الغر والأعين النجل ، هضيم الكشح خفاقة الحشا ، قطوف الخطى بلهاء وافرة العقل ؟ ! ..

أسعد الناس فى الدنيا وأقرهم عينا وأطيبهم عيشا وأبقاهم سرورا وأرخاهم بالا وأشبهم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة مؤمنة أمينة على شرفه وعرضها عفيفة حسنة نظيفة مطيعة ذكية الذيل طاهرة اليدين نقية السريرة مجلوة اللسان ان ائتمنها زوجها وجدها أمينة ، وان قتر عليها

وجدها قانعة ، قد ستر حلمها جهلها ان كانت جاهلة ، وزين دينها عقلها ، ان أيسرت شكرت وان أعسرت صبرت •

قال صلى الله عليه وسلم : « الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة » •

ومن ذلك نخلص الى النتيجة الحتمية الرائعة : متاع الدنيا الزوجة الصالحة •

ومثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ السقيم الهزيل الضرير يجره جرا لا يقــدر عليه ، بعلها مشغول مفتول وجارها وسيم مقبول •

هذه هى المرأة الجميلة الطباع •• لو لم تكن حسناء المظهر فاتنة المحيا حليتها الايمان والاسلام والتقوى واحترام الزوج وتقدير البعل والالتزام بحقوقه كاملة غير منقوصة ، حليمة وافرة العقل •

* * *

الا أن مطلب الجمال الجسدى نعتقد أنه يسبق الجمال الأخلاقى فى نفوس العوام والكثرة من الناس لأن العاطفة والنفس هى التى تندفع الى الجمال فتسبق العقل اليه ولأن مهمة التفكير والتدبر والتحليل محلها العقل وحده •

قال خالد بن صفوان لدلال : اطلب لى امرأة بكرا ، أو كالبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقــر ، لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة ، قد عاشت فى نعمة ، وأدركتها حاجة ، لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر ، صلة الجبين سهلة العرنين

سوداء المقلتين ، خدلجة الساقين ، لفاء الفخذين ، نبيلة المقعد ، كريمة المحتد ، رخيمة المنطق ، لم يداخلها صلف ، ولم يشن وجهها كلف ، ريحها أرج ، ووجهها بهج ، لينة الأطراف ، ثقيلة الأرداف ، لونها كالرق ، وثديها كالحق ، أعلاها عسيب وأسفلها أليف ، لها بطن مخطف وخصر مرهف ، وجيد أتلع ولب مشبع ، تتثنى تثنى الخيزران ، وتميل ميل السكران ، حسنة المآق فى حسن البراق ، لا الطول أزرى بها ولا القصر ..

قال الدلال : استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها .

* * *

ما الذى يجرى لو أن كل نفوس الرجال هامت بالحسن والجمال والوضاءة وتعلقت بها جميعا ؟

اذن فالمرأة غير الجميلة أو غير الحسناء لن تجد رواجا فى سوق الزواج أو فى ميدان التجارة ..

ويحمل الحديث النبوى الشريف صلاح الزوجة على أمور حيوية نشطة وليس على الجمال وحده فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ما رزق الله امرىء بعد طاعة الله خيرا من امرأة صالحة ان نظر اليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

وهو الذى يقول أيضا :

« اياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى منبت السوء » .

وأورد القرآن الكريم قوله تعـــالى : « **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** »(1) •

اذن حلية الايمان وجمال الطاعة لله وحده وللزوج يمتعان نفس الرجل فتلتذ أعماقه وترتاح أعضاؤه •

* * *

---

(١) البقرة : ٢٢١

الفصل التاسع

المرأة والصحة النفسية :

لعل النشأة الأسرية للطفل فى أحضان والديه لها أثر أى أثر فى صحته النفسية فى طور حياته الأولى ، والتى تتشكل فيها لبنات وجوده •

وهناك فى الواقع ثلاثة أسس للصحة النفسية عند الطفل :

أولهـا : الوجدان وذلك بمعنى الحب الثابت الدائم المتصل •

ثانيهـا : الأمن والاستقرار والدفء والحدب والحنان من عطف الوالدين ومظلة الشفقة والرحمة بوليدهما •

ثالثهمـا : النظام والعادات السلوكية الكريمة الطيبة التى يغرسها الأبوان فى نفس النشء حتى يستوى على سوقه قوى اللبنات متماسك البنيان ، حتى يتسلح لمعركة الحياة الجادة بالنظام والدقة •

الأم هى المعول عليها فى تأصيل وتوثيق العـادات الحسـنة ، والطباع النبيلة فى أعماق ذريتها وهى كذلك المسئولة عن تحلل النشء بالتعاون مع الأب ولكن الأم أشد وأعظم مسئولية ، ذلك لأنها تنفق أكثر وقتها مع النشء متابعة حركاته وسكناته فى محيط الأسرة وهى الخلية الأولية فى جسد المجتمع •

فالأم تتعامل مع كافة قطاعات الانسان من طور خلقه الجنينى فى أحشائها الى حبوته الأولى فى الأسرة — وهى المجتمع الصغير — الى أن يصبح رجلا ، وهى تتعامل معه زوجا له حقوقه وواجباته .

ونحن نرى أن قوام السعادة الأسرية يعتمد على المرأة أو الزوجة أكثر مما يعتمد على الرجل وهذه ظاهرة طبية مشهورة ، أو مشهود لها .

ولا يخامرنا شك فى أن الشخصية السوية والنفسية الهادئة ونزعات الطموح والتقدم انما ترجع الى منهج النشأة الأولى عند الطفل الصغير .

كذلك فان التطلعات الغثة المريضة من جهة أخرى ، وسمات الاكتئاب النفسى والشرود والضيق المتصل غالبا ما تعزى الى طفولة متعبة منهكة نتيجة الكبت والاحباط .

الزوجة العصبية المتشنجة المتشددة تنعكس على بيتها كل تصرفاتها ، فقد يرث النشء منها الجفوة والغلظة والحدة ، ومن جراء ذلك ينتابه الاكتئاب النفسى الشديد حيث ينظر الى الدنيا بعين قاتمة سوداء حالكة .

العامل الأكثر من هذا كله اهتماما بكيان النشء هو طريقة شغل أوقات فراغه فى الطفولة والتى تسهم بنصيب وفير أيضا فى صقل شخصيته كما يقول علماء الطب النفسى أيضا ، اذ لابد من التوفر عليها والاشراف المباشر على سلوكياتها وتوجيهها توجيها صحيحا ، ومنذ فترة يسيرة تقدم أسلوب العلاج النفسى الجسمى ولقد رأى العلماء أن

نشأة الطفل الأولى وسلوكياته فى طور حياته الأولى أساس كل بلاء نفسى يعرض له فى متقدم سنى عمره ؛ بل لقد لاحظنا بالفعل الكثير من العقد النفسية مرجعها الى الظروف الاجتماعية العائلية الأولية •

فلا جرم اذن أن يوضح لنا القرآن الكريم فضل البنات ، فقال تعالى عز من قائل : « **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير** »(١) •

فقسم سبحانه حال الزوجين الى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبهما اياه ، وحسب العبد من غضب الله عليه أن يتسخط ما وهبه وما أغدق عليه ؛ فالبنات من الهبات العظيمة ، والتشاؤم من انجاب البنات انما هو صفة مذمومة من حماقات الجاهلية ومن سفه القوم الكافرين بأنعم الله •

والذين قال فيهم سبحانه وتعالى : « **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون** »(٢) •

وفضل البنت أنها قرة عين للأب وأصفى عاطفة وأنقى سريرة وأخلص ودا وأصفى وفاء وولاء لذوى قرابتها ، وأهل مودتها •

* * *

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ •

(٢) النحل : ٥٨

الفصل العاشر

الإرهاق الجنسي بين الطب والدين

فى كتابه الشهير : « تاريخ الزواج البشرى » يورد (وستر مارك) ما يسميه : « الفكرة الغريبة التى مؤداها أن الزواج ينطوى على عنصر دنس وآثم ، كما هو الحال فى العلاقات الجنسية عامة » .

وقد نذر الرهبان والقساوسة والمطارنة أنفسهم وأنفسهن للعزوبة الأبدية مبالغة فى الطهر والنقاء ، وكأن فى ذلك طهرا بالغا وصفاء منشودا ونظافة ترقى ـ فى نظرهم ـ الى درجة الملكية .

ذلك لأن النصارى يعتقدون أن السيد المسيح لم يولد من الخطيئة لذلك فهو طاهر غير دنس ومن ثم فهم يرون الوقاع حتى بين الزوجين جرم ومأثم .. وكيف ينكرون ذلك وقد ولدت أم المسيح الطاهرة مريم من نكاح وهكذا كل بيت آل عمران .

وهذا القصر فى النظر والتحديد فى الفكر أساء اليهم أشد الاساءة فالحقيقة : ما جاء المسيح من ارادة الله وكلمته التى قالها الله لمريم وألقى بها ، ما جاء ذلك الا لاعجاز لا يصح أن يؤخذ قدوة والا تعطل التناسل البشرى وانقرض الجنس الآدمى ، فاذا ما أصبحت العزوبية منشودة فان تضييق الخناق سيزداد يوما بعد يوم ومن ثم يصبح الجنس البشرى

مهددا فى يوم ما بالتضاؤل والانقراض والانتهاء ، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم :

« تناكحوا تناسلوا فانى مفاخر بكم الأمم يوم القيامة » ٠٠
وفى رواية أخرى : « تناكحوا تكاثروا » ٠٠ صدق رسول الله ٠

وما جاء المسيح الا ليكسر جمود اليهودية التى طغت فى الأرض وعاثت فسادا فى أرجائها والتى غلبت عليها المـادية الصرفة ، فكان لابد من كسر هذا الحائل بينها وبين الزوجية فجاء المسيح من أم بغير نكاح أو بغير اخصاب مخالفا بذلك المتواتر والمعهود من اخصاب الذكر للأنثى وذلك لاعجاز مادية اليهود الطاغية الباغية وقتذاك ٠

اذن فان مجىء المسيح من غير أب انما جاء لاعجاز روحى فطرى ولكن ليس بالقدوة للحواريين أو أترابه أو من نهج منهج المسيحية العصماء ، فما جـاءت تعاليم المســيح بتحريم الزواج ولا قرأنا فى أسفارها شيئا عن هذا ، ولكن المغالاة والشطط فى التقليد الأعمى هى التى دفعت الى ذلك التقييد الأحمق ٠

قال تعالى : « **وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين** »(١) ٠

ومعنى حصورا : أى لا يأتى النساء وهذه خاصية انفرد بهـا يحيى . وهى نفسها التى منعت المسيح أن يكون زوجا بدوره ٠ ولكن ارادة الله جلت قدرته غير موجهة أو محددة بأسباب ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب ، وخالق الأسباب فى مقدوره أن يصرف أمور الكون ومقادير الطبيعة بعيدا عن الأسباب ٠

---

(١) آل عمران : ٣٩

اذا تزوجت الشابة ممن تحب ، وكذلك اذا تزوج الشاب ممن يحبها .. هذه هى بغية العمر ونشوة الطبيعة وغايات النفس ومراد الخاطر ..

قال أبقراط امام الحكماء وأستاذ الأطباء القدماء والمحدثين : جماع المحبوب يسر .. ولكن اذا ما التقى الحبيبان فى مخدع الزوجية الذى طالما حلم به كل منهما ثم فوجئا بالارهاق الجنسى من أول لقاء .. ما العمل عندئذ ؟

لابد أن يتحول الحب الجارف الى كراهة عارمة وينقلب الوفاء الى تكلف ورياء ثم ينتهى هذا كله بالخيانة الزوجية اذا استمر الارهاق بغير علاج حاسم شاف .

والرجل هو المنفذ للممارسة الجنسية لأنه الجانب الايجابى فيها ، هو الذى يبدؤها ثم يتحكم فى استمرارها وهو الذى يملك انتهاءها فى أية لحظة ، وما دور المرأة الا دور مساعد لا غير .. فاذا ما وجدت الزوجة زوجها عنينا فجأة ، أو قاصرا فى هذه الناحية سرعان ما ينتابها الضجر والضيق والعنت ، مهما كانت قد أحبته أو أخلصت له المودة ذلك لأن النفس مطبوعة على الكلف بالممارسة الجنسية والنزوع اليها وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تموه على وصفها الزواج بأنه نزوع أحمق من جانب نفوس الناس فقالت انه سر مقدس ، وهذا الرباط المقدس لا يمكن فسخه مدى الحياة أيا كان ما ينتهى اليه أمر أحد الزوجين كأن يمرض مرضا مزمنا صعبا لا شفاء منه ، أو يصاب بمرض الزهرى أو أى مرض تناسلى سرى أو يكون مدمنا للمخدرات أو الخمر أو يصاب

بالجنون • أو يعيش مع شخص آخر يعاشره معاشرة الأزواج بشهادة الشهود على ذلك •

وقصارى ما تتخذه الكنيسة فى مثل هذه الأمور أن تفرق بينهما جسديا ولابد أن تصدر قرارا بذلك •

ولننظر كيف تستمر قافلة الحياة عبر أمواج الأيام المتلاطمة وقد أصبح الزوجان يعاف كل واحد منهما الآخر وأصبحا كالمـــاء والزيت لا يمكن بحال من الأحوال امتزاجهما •

وما فتىء موقف رجال الدين جامدا متشددا عليهما فلا اباحة للطلاق ولا اجازة للزواج بأخرى ، وانما التذرع دائما والتعلل بالقضاء والقدر هو مجال التفريج عن النفس المكدود الخاطر المنهار المتصدع •

أهمية وحتمية الارتواء الجنسى ضرورية ، لأن الارتواء الجنسى اشباع للفطرة المطبوع عليها باطن النفس والعقل والروح •

والجماع أمر شهوانى بحت مما تعشـــقه الروح ويلح فى طلبه وجدان المرء ويسعى اليه كيان المرأة دون أن يملأ فراغات النفس بديل عنه أو عوض له •

وترفض الكنيسة تعدد الأزواج الا فى حالة ثبوت جريمة الزنا والاعتراف بها مباشرة ، فهنا يفسخ رباط الزوجية . وقد يكون ذلك مدعاة لتعمد الابتذال عندما تكره المرأة زوجها ولا تجد فكاكا منه الا بهذه الوسيلة الشريرة ••

وبينا نرى الضعف الجنسى والارهاق عند الرجل فى الناحيـــة

الحسية يبيح للمرأة أن تطلب الطلاق ويجيز ذلك للقاضى أن يفسخ الحياة الزوجية وينهى هذا الرباط فورا فى شريعة الاسلام متى كان الزوج عنينا لا يقدر على الجماع أو ممارسة الجنس ممارسة طبيعية تضمن العفة والالتزام لأهله ، نرى الكنيسة تنظر لأمر الطلاق فى هذه المسألة على أنه أمر حقير لا يمكن اللجوء اليه ، لأن ذلك فى اعتقاد القساوسة والرهبان تكريم للشهوة واعزاز واكبار للاثم والمعصية .

وهل يصح أن يحكم فى هذه القضية من لا يؤيد الزواج شرعا ؟ وهو نفسه غير متزوج ؟

فاذا كان القسيس أو المطران أو الراهب قد نذر نفسه للعزوبة الأبدية مبالغة فى الطهارة واهمالا لغريزة الجنس لأنها فى نظره وفى اعتقاده أمر بالغ الاحتقار ، .. كيف تحتكم اليه فى أمر كهذا ؟ .. هل من حق الزوجة طلب الطلاق اذا اكتشفت أن زوجها يفتقد الحياة الجنسية ؟ قطعا سيجيب بالنفى .. لأنه يتمنى ويرجو المستحيل .. يتمنى أن تكون صحبة الذكر والأنثى فى الحياة رفقة روحية ومزاوجة نفسية .. بعيدا عن شهوة الجسد ومتعة الاتصال الجنسى ، وهذه الروحانية الصرفة أضرت بالمفهوم الفكرى عندهم أفدح الضرر ، لأنها تطرف بغير تحكيم للعقل والحكمة .

قال صلى الله عليه وسلم : « الزواج من سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » ..

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا : « أتيت من نكاح ولم آت من سفاح » .. صدق رسول الله .

* * *

وتوجد أيضا عند اليهود نحلة « الأسينيين » وهم يعتبرون أن كل اتصال جنسى دنسا ، وتفشت هذه الفكرة بينهم وبين أعداء المسيحية أيضا وغشى بلاد فارس أيضا حيث يعدون أن الجماع رجس ونجاسة أيضا •

والارهاق الجنسى ظاهرة أحدثتها الحضـــارة بكل تبعاتها وبكل التزاماتها ولا يعرف الحيوان شيئا عن الارهاق الجنسى لأنه ليس لديه عقل ، كذلك فان الطلاقة الجنسية متوفرة على أشدها بين الجهلاء والبســطاء من الناس ، ولمـــا كان المســنون والشيوخ أنضج عقلا وأرسخ فكرا من الشباب ، ولذلك فمن الأوفق ألا يكون رأى الشباب معمولا به أو منشودا فى مثل هذه الأمور •

ولكن النظرة الى الجنس عند الشيوخ تختلف عنها عند الشباب اذ أن التقدم فى العمر والشيخوخة تؤدى بطبيعة الحال الى الارهاق والقصور الجنسى عند الشيوخ ومن هذا سنرى تحولا جادا فى نظرة الشيخ الى الجنس الى أنه مسألة بهيمية •

والمرأة قد تكون باردة ولكن حبها لزوجها وتعلقها به واخلاصها له يجعلها تنقاد الى زوجها بدافع الواجب نحوه وليس بدافع الاستمتاع منه ، فلا تراه فتى أحلامها الحسية ولا تجد فيه عشيقا لأنه لا ينبه فيها غريزة أو أن غريزتها تحتاج الى مؤثر أقوى من ذلك وأقدر ، ولكنها ترى أن القانون الخلقى يأمرها أن تكون خليقة بهذا كله •

ومن غير المتوقع أن تكون نفس المرأة طيبة فى مثل هذه الظروف التى يختلف ظاهرها عن باطنها فيها •

ذهبت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم تشكو اليه أمر زوجها الذى يصارعها طوال الليل ، فلم تنم الا لمـــاما ، وأصرت على أن يطلقها النبى عليه الصلاة والسلام منه ، وطلقها منه بالفعل ، ولكنها بعد أن تزوجت بآخر ، وفجأة وجدته عنينا ، ذهبت على الفور الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله •• طلقنى منه فلما سألها عن السبب •• قالت : لقد كان زيد يصارعنى وأصارعه ولكن زوجى هذا له حال كهدبة الثوب الخلق ••وهنا ترسل المرأة نفسها على سجيتها دون ما حياء أو تمويه • وهذا الموقف أدعى الى فهم نزوع المرأة ، فهى قد تكره الجماع فترة من الزمن ، لكنها لا تتمنى أن يفقد زوجها القدرة على جماعها لحظة واحدة ، ولا ترضى لزوجها أن يفقد حماسه الجنسى يوما وأن يتبدل الى فتور حسى •

* * *

الفصل الحادى عشر

سؤال وجواب حول الجنس والمعرفة

ترد الى أسئلة كثيرة من قراء مجلة لواء الاسلام والهلال وأحيانا فى عيادتى وهى أسئلة متشابهة الى حد كبير لأنها تدور حول محور واحد ثابت وهى :

هل تفضل تعليم الجنس للتلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟

وهل تربية الأطفال الجنسية خير ، أم شر ؟

ولقد رأيت فى وجوه السائلين على مختلف أوضاعهم ومتباين ثقافاتهم أنهم يريدون أن ينشئوا أبناءهم على الصراحة والوضوح وأن تعليم الأبناء الممارسة الجنسية أو تعليمهم أشياء عنها أمر ضرورى ، وأخطأوا خطأ فادحا عندما حاولوا أن يقنعوا أنفسهم أن الجهل بكل شىء له أضراره وله خطورته .

ولقد حدث أن كنت ذات يوم — منذ نحو ثمانية أعوام — مسافرا للاسكندرية وركبت الى جوارى فتاة حسناء فى خير عمرها وفى كامل زينتها وبهائها . وكانت مستغرقة فى كتاب ألقت اليه كل قياد صحوتها وظلت منكبة على حروفه وكلماته طوال ما يربو على ثلاث ساعات متصلة ،

ولَيته كان كتابا مدرسيا أو تعليميا انما للأسف كان كتابا جنسيا يتحدث عن الممارسة الجنسية وطرق الملامسة الحسية بين الرجل والمرأة ، والتلميذة ساهمة مطرقة فى صفحاته وكأن على رأسها الطير حتى أنه لم يبعث فيها خالجة من تعب ، وما أن وصلت حتى أسرعت من فورى بكتابة بحث طبى فى صورة مقال الى مجلة الجديد ، وقد كانت وقتذاك فى عامها الثانى تقريبا .

وبمجرد أن صدرت المجلة وفيها هذا المقال ، حتى تتابعت ولفترة طويلة من الوقت تعقيبات القراء عليه ، ذلك لأنى كنت قد أومأت الى أن الخطر كل الخطر فى تعريف أو ارشاد الأطفال الى مثل هذه الأمور ، والأخطر من ذلك كله محاولة تدريس هذا العلم فى المدارس أو الجامعات ، ذلك لأننا نسهم فى توسيع دائرة القلق فى كامن النفس البشرية ، حتى يتسع الخرق على الراقع .

قلت آنئذ أنه لاشك أن تربية الطفل تربية سوية منزع كريم ، وترويضه على الالتزام منذ نشأته الأولى أمر عظيم غاية العظمة ، وتربيته على فضيلة الصدق من أروع وأجل الأمور ، ولكن يجب أن نعلم أن الأحاسيس الجنسية تتولد فى داخل كيان الصغار مبكرة ، وربما تسبق نموهم البدنى كما قال « سيجموند فرويد » فان تلذذ الطفل واستمتاعه من مجرد تدليك ظهره أو الربت على فخذيه أو اليتيه ، انما يشيع فى أعماقه الشعور بالمتعة الجنسية ، ولذلك نرى أسئلته دائما متجهة الى الناحية الجنسية ، الطفل عادة يسأل من أين أتى ويأتى الأطفال الصغار ؟؟ ، وقد يلاحظ أو يكتشف الطفل لقاء الصدفة لقطة أو مشهدا غزليا مثيرا بين أبيه وأمه فيسكن فى قرارة نفسه ، وعندما تكذب عليه

الأم ويكذب عليه الأب فيقولان له : ان طائر « اللقلق » هو الذى يأتى بالأطفال الصغار . وما أن يكبر الطفل حتى يكتشف كذب والديه وخداعهما له من ثم . يفقد الثقة فى أشياء كثيرة تصدر منهما ، ويرى الكثيرون من الناس أن فترة الطفولة هذه لابد من افهامها كل شىء يتصل بالموضوع من أصوله ، حتى يتربى الصبى على الفضيلة .

ونقول لهؤلاء وأمثالهم ان العلم بالأشياء فريضة واجبة ، والجهل أمر خطير على كيان الانسان لأنه ضد حركته فى الحياة ومناهض لسواء سعادته ، ولكن الجهل بالممارسة الجنسية أمر واجب ، لأن الجهل بها هنا سيمنع أخطارا جليلة محدقة وان سأل الطفل أحد أبويه ، فقال له مثلا :

مم يأتى الأطفال الصغار ؟ فقال الأب له : نتيجة لجماع الأب والأم فيحدث لها الحمل فى الجنين أى الطفل الصغير وينمو شيئا فشيئا فى أحشائها تدريجيا . فهل يعتقد جهابذة التطور أن الطفل الصغير سيسكت عند هذا الحد من الاجابة ؟ أم أنه سيتطور فى الاستفسار وكذلك فى الاستفهام ؟ ما معنى « الجماع » ؟ وما معنى « الحمل » ؟ فسيضطر الأب أن يشبه له العملية الجنسية بينه وبين زوجته بتلك التى تحدث بين الطيور أو الحيوانات التى يراها الطفل .

وعلى الفور سيسأل الطفل هذه المرة نفسه — حائرا — لماذا لا يرى أباه وأمه وهما يواقعان بعضيهما أو وهما يتجامعان وسينتهى فى النهاية الى أن الجماع رذيلة عند الانسان على العكس منه عند الحيوان ذلك لأن الحيوان لا يستحى من فعلها ، أما الانسان فانه يستتر

فى ممارستها ، وهذا سيجره الى صراعات أخرى ممتدة لا نهاية لها وسيجد اجابة سؤاله سؤالا آخرا متصلا بآخر وهكذا ..

فى المدارس والجامعات ، فى تلك العمر الحرجة المتوقدة بالمراهقة والتى يصادفها النمو الغددى ، والتى تتطور فيها الأعضاء الجنسية تطورا سريعا ملحوظا وتنشط فيها الرغبة الجنسية فى الشاب وفى الفتاة على حد سواء نرى — نحن الأطباء — تفاقم الاضطرابات النفسية والسيكولوجية نتيجة الالحاح المستمر من الشباب لمعرفة الحقائق المتوارية عن الجنس . وهنا يزداد الخطر من تعمق المعرفة . ذلك لأن مداركهم عندما تصل الى أعماق هذه القضية فان الشباب دائما لا يكتفى — وهو فى سن المراهقة — بالشرح النظرى أو البيان الغير التطبيقى انما دائما ينشد التطبيق لا سيما عندما يتحدث اليه أستاذه أو مدرسه عن أن هذه العملية فيها ما فيها من المتعة واللذة .

وجنس البشر مطبوع على السعى وراء المتعة . وهو أحوج ما يكون اليها فى كامل صحته وقوته وفراغه . وهل فى غير الشباب صحة وقوة وفراغ ؟ وهو نهب لأحلام اليقظة وفيها ما فيها من تورد واختلاج .

اذن فمن الخير ، بل ومن الخير الكثير ، أن نبعد أشباح العملية الجنسية عن مخيلة الشباب حتى لا يغرق فى متاهات النزوع والادراك والوجدان . وهل اذا وصل الى درجة الوجدان فالنزوع ، هل يمكن أن تحكمه وتوقفه عن الزحف لارتياد هذا الأفق المجهول ، الذى يرى فيه جنة بكرا ورياضا غناء طيبة المرعى ، قريبة منه بعيدة عن مناله .

ومجمل القول أن رؤيتى للقضية رؤية عملية واقعيــة ، تنطبق

وتتوافق مع منهج القرآن الكريم فى الكناية والتورية عن الممارسة الجنسية فى كثير من آياته الكريمة . ذلك لأن الشيء المستتر المتوارى له جلاله وله قدره . وطالما أن له جلالا وقدرا فلابد أن يعالج بالاتزان والجدية ، وطالما كان أمره هكذا فلابد أن يؤخذ بالحذر وألا يصرح به والا أغرقنا طوفان المراهقة والمغالاة وصرنا لا فرق بيننا وبين المجتمعات الغربية المنحلة المتحللة من شرائع الله وكتب السماء ، وكذلك المجتمعات الشيوعية التى لا تنضبط لقانون سماوى ينظم مسيرة حياتها أو مسيرتها فى الحياة .

وقد جاء الاسلام فنظم المجتمع ونظف أدرانه وأردانه من رجس الخطيئة وبشع من أهوال الزنا ، وأوقع أفدح العذاب والتجريم لمن يقترب من الزنا .

قال تعالى : « **ولكن لا تواعدوهن سرا** »(1) فكنى عن الجماع بالمواعدة .

وقال : « **فلما تغشاها** »(2) أى جامعها .

وقوله : « **ولم يمسسنى بشر** »(3) أى يجامعنى .

وقوله : « **فأتوهن من حيث أمركم الله** »(4) أى فجامعوهن .

وقوله تعالى « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** »(5) أى تزوجوا .

هكذا كنى عن الجماع بالمواعدة حينا والتغشى أحيانا أخرى والاتيان مرة والنكاح مرات أخر وتارة المواقعة وتارة أخرى التماس .

قال تعالى : « **ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** »(6) .

---

(1) البقرة : ٢٣٥
(2) الإعراف : ١٨٩
(3) آل عمران : ٤٧ - مريم : ٢٠
(4) البقرة : ٢٢٢
(5) النساء : ٣
(6) الاسراء : ٣٢

وهذا نهى عن الاقتراب من الزنا اعتبارا من النظرة الأولية وحتى التلامس لأن ذلك كله مثير للأعصاب لأن فيه تنبيها للغريزة ، واستمالة للشهوة ، ومتى استثيرت فان من الصعب التحكم فى قيادها ، وعادة ما يطرح لها الحبل على الغارب .

وهل ترى من الحصافة أن تدرس المفاهيم الجنسية وطرق الجماع المختلفة وتضمن عدم الاثارة فى نفوس الشباب المراهق الممتلىء بالحيوية والنمو والدفء ؟ وهل من المأمون أن تترك الشاب فريسة للصراعات النفسية المحتدمة وتعطيه السلاح الحاد وتقول له لا تضرب وهو قطعة من جنون ! !

من حماقة الناس أن تكون نظرتهم للأمور وديعة خلوا من التدبر والتفكير فى العواقب ، انهم بالمعرفة الجنسية سيجرون أنفسهم الى غمار معركة واسعة لا طائل من ورائها ولا غنم فيها ولا توفيق فى مغبة مسالكها ، ونهاية طوافها .

وربما يسأل سائل : لماذا نرى المجتمع الغربى متطورا متقدما عن المجتمعات الاسلامية على الرغم مما هو فيه من اغراق فى اللهو والمجانة والابتذال الجنسى والتحلل الخلقى ، والجنس هناك فاضح فى دور السينما والمسارح وغيرها ، حتى اعلانات دور السينما نفسها فيها الصور الفاضحة ؟ فكيف تعلل تطورهم وتخلفنا نحن المحتشمين ؟

والاجابة على هذا السؤال غاية فى الأهمية ألا وهى أننى أحب أن يكون جليا للأفهام أن التقدم العلمى عندهم على حساب الأخلاق فالحياة الاجتماعية عندهم معتلة مريضة وصرح الأسرة متداع أفيل

والمرأة عندهم لا قيمة لها الا للاستمتاع الجنسى ، والحماس والغيرة على الأهل غير متوفرة ، فيستطيع أى شاب أن يصحب أية فتاة ويسير معها دون أن يسأله أحد عن شىء ، حتى الفتاة بمجرد أن تبلغ السادسة عشرة ترفع وصاية أهلها ويستطيع صديقها أن يصحبها فى حلها وترحالها ويدخل معها حجرة نومها على فطرية وبراءة ، وأمام ناظرى أبويها واخوتها وأخواتها وينغلق عليهما الباب وفى هذه الأثناء ليس من حق الأب أن يسأل الفتاة من هذا أو ما الذى تم بينه وبينها لأن هذه هى مطلق الحرية عندهم .

والفتور الحسى عندهم هذا ، ونظرتهم للمرأة على أنها متعة يقضى معها الفتى أوقات صفوه وسعادته ونشوته أضر بها أفدح الضرر ، ومعنى هذا أن المرأة الغير شابة أو المتقدم بها العمر أو الغير حسناء لا ترى فى نفسها موضع استهواء شاب أو تمنى غريزة فتى ، فالعلاقات من أجل الجنس ومتى كانت المرأة الحسناء رشيقة جميلة الطالع فقد ضمنت رواجهـا فى سوق الجنس المبتذل الرخيص ، وعلى مختلف المستويات ومتباين الأمزجة ، لأنها ناضجة مثيرة لغرائز الرجال .

وما أبعد الزواج عندهم عن وشيجة المودة وآصرة الرحمة ، لأنها آخر ما يهتم به الطرفان من أمور . فالمتعة منشودة عندهم ولا على أى طرف شىء اذا أراد أن يستوفيها حقها من أى مصدر شاء وفى أى وقت يشاء .

ولعل هذا السلوك الغير قويم قد أصاب المجتمع هناك فى صميمه بأن قوض لبناته الخلقية فنحن نرى انتشار الأمراض النفسية القاتلة

التى تصل خطورتها الى مدى بعيد ، فالادمان على الخمور والكحولات والمشروبات الروحية المسكرة الضارة بالكبد والقلب والأعصاب والعقل تصيبهم بتليف الكبد والتهابات الأعصاب الطرفية المتعددة ، كما أن المرأة متى مر بها قطار العمر وتقدمت بها السن لا تجد المودة والرحمة التى تلقاها المرأة المسلمة التى حافظ الاسلام عليها فى كل أطوارها ، فالاسلام يوصى بالبر بالوالدين والاهتمام بهما والحرص على ارضائهما .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « انى لأعجب من ذا الذى يدرك أحد والديه فى الكبر ولا يدخل الجنة » .

وجعل القرآن رضى الوالدين وعدم الغلظة عليهما أمرا حميدا لقوله تعـــالى : **« فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما »**(1) .

ويعرض سؤال فلسفى له قيمته ودرجته من العقلانية :

اذا كانت هذه الحياة المبتذلة القائمة على الصراحة والوضوح الجنسى قد أتعبت المجتمعات الأخرى فلماذا لم تعدل عنها ؟

نقول ان اتصال الغرائز بدخائل النفوس تتولد عنه عادات لا يمكن أن يقلع عنها البشر ، لأن العادات اذا تمكنت من باطن المرء كان من المتعذر ومن العسير اقتلاعها منه أو ابعاده هو عنها .

ألا ترى أن ذكر النحل عندما يطارد الأنثى للسفاد يعرف تماما أنه بعد السفاد مباشرة سيموت ، ولكنه مع هذا لا يتردد انما يندفع نحوها ، ذلك لأن طلاقة الغريزة قد أعطته قوة واندفاعا جعلته يضحى بكل حياته لقاء لحظة استمتاع ينتهى عمره وأجله بانتهائها .

---

(1) الاسراء : ٢٣

وهناك مثل صينى يقول « خذ أموالنا وكل ممتلكاتنا واذبح أبناءنا واتركنا حفاة عراة ، ولا تسلبنا عاداتنا وتقاليدنا » ..

ومجمل القول باختصار أنه فى اعتقادى أن تظل الممارسة الجنسية كما هى بوقارها وجلالها وسريتها بعيداً عن مدارك الطفل ، حتى لا نفتح ذهنه الصغير على فجاج واسعة المدى غير منتهية .

وليعلم الناس أن الكذب على الطفل فى هذه المرحلة وفى هذا الطور خير من الصدق معه . والجهل هنا نافع ، أى نفع ، ولا غرابة أراها فى ذلك اذ أنه فى غمار الحياة قد ينفعك عدوك فى موقف من المواقف مختارا طائعا أو كارها ، فقد يبعد عنك شرا فادحا لولاه لكان لا محالة واقعا ، وقد يقصى عنك الجهل بأشياء الكثير من الأضرار التى تتصل بمعرفتها ، ألا تعلم أن هناك أدوية وعقاقير تعالج أمراضا مستعصية ولكن هذه العقاقير لها أضرار جانبية فى غاية الخطورة ، فلو عرف المريض مضاعفاتها وخطورة هذه المضاعفات ما تناول منها قرصا واحدا ، انما يتعاطاها تنفيذا لتعاليم طبيبه المعالج وهو مطمئن الى أنها ذات فائدة لمرضه ولا يتوقع منها أذى أو ضررا .

هذا الجهل بوجود بعض الأعراض الجانبية لبعض العقاير والأدوية سيجعل المريض ينتظم فى تناول وجباته الدوائية فى مواعيدها .

هكذا الجهل يفيد المريض افادة نفسية عظيمة القدر جليلة العظمة فمثلا مريض القلب عندما تشهر فى وجهه سلاح الحقيقة بأن لديه تلفا فى صمام من صمامات قلبه أو أن فى قلبه قصورا فى أحد كهوفه أو عطبا فى شرايينه لا شك ستجده فورا منهارا ويجد الطبيب نفسه أمام

مشكلتين فى غاية التعقيد الأولى الحالة العضوية التى يشكو منها المريض وقد أضاف الطبيب بعلمه اليه هذه الحالة النفسية التى يعوزها دواء خاص آخر أصعب وأشق من الأول وأدعى للحذر منه وأوجب للحرص عليه ، فالكذب للمريض والجهل منه فيهما نفع وشفاء له ٠

ونحب أن ننوه هنا فى نهاية هذا الفصل أن الدين يحرم نشر أسرار الجماع والاستمتاع من الزوج ومن الزوجة أيضا ٠

قال صلى الله عليه وسلم : « ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته ، وتفضى اليه ثم ينشر سرها » ٠ رواه أحمد ومسلم وأبو نعيم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ٠

وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود ، فقال : « لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟ ! فأرم القوم ، فقلت : أى والله يا رسول الله ٠٠ انهن ليفعلن ، وانهم ليفعلون ٠ قال : فلا تفعلوا ، فانما ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فى طريق فغشيها والناس ينظرون » ٠ أخرجه أحمد والبيهقى ٠

* * *

الفصل الثاني عشر

الزوجية في الأديان المختلفة

رأى القديس بولس ، كما رأت المسيحية أن المقصد الأسمى من الزواج ليس انجاب الأطفال بل الحيلولة دون الخطيئة والبغاء ، فجاء تحديده لمفهوم الزواج المسيحى على النحو التالى ف الاصحاح السابع من رسالته تلك :

١ ــ وأما ما كتبتم به الى « فيحسن بالرجل أن لا يمس امرأة » •

٢ ــ ولكن خوفا من الفسق فليكن لكل رجل امرأة ولكل امرأة زوجها •

٣ ــ وليقض الزوج امرأته حقها ، وكذلك المرأة حق زوجها •

٤ ــ لا سلطة للمرأة على جسدها فانما هو لزوجها وكذلك الرجل فلا سلطة له على جسده فانما هو لامرأته •

٥ ــ لا يمتنع أحدكما عن الآخر الا على اتفاق بينكما ، والى حين كى تتفرغا للصلاة ، ثم عودا الى الحياة المشتركة مخافة أن يجربكما الشيطان لقلة عفتكما تلك •

٦ ــ وأقول هذا للاجازة لا للأمر •

٧ — فانى أود لو كان جميع الناس مثلى ، ولكن كل انسان يناله من الله موهبة مخصوصة به فبعضهم هذه وبعضهم تلك •

٨ — وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه يحسن بهم أن يظلوا مثلى •

٩ — فاذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا فالزواج خير من التحرق بالشهوة •

ونستشف من هذا كله أن الهدف من الزواج لم يصل الى انجاب البنين والحفدة ، انما ان كان لابد منه لارضاء نزوة النفس وارواء رغبتها واشباع الشهوة •

لكن لا يخامرنى شك فى أن نظرة القديس بولس هى نفسها نظرة اليهود الى شريعة التزاوج بين الجنس الآدمى •

والطبيعة القديمة كانت تنظر للمرأة نظرة ازدراء اذا وقع عليها رجل غير زوجها ونفس النظرة للرجل ، وليس هذا بدعة فى المسيحية وحدها بل ان العهد القديم من التوراة قد أورد هذا وليرجع اليه من أراد البيان •

الا أن المغالاة فى المسألة جاءت من قبل المسيحية حيث جعلت الجماع بين الزوج وزوجه شرا ولكنه شر أهون من شر جماع الغريبة ، ولمن لا يطيق العفة لابد أن يتزوج ولكنه بهذا الزواج سيصبح أدنى مرتبة لأنه انقاد وراء شهوة الجسد فالعزوبة مقدسة ، والتقشف نقاء وطهر وشفافية حتى أن آباء الكنيسة الأول لاذوا بالفرار للبرارى والفيافى حتى لا يجد الشيطان أى مجال للنيل من عزائمهم المتحجرة •

فالرغبة فى الذرية وانجاب البنين والحفدة هى الداعى الوحيد للزواج والجماع فى نظر الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا سبب له حق القضاء مهما كانت قسوة الظروف ، والكاثوليكيون يجدون ويسعون جاهدين جهد الطاق أن يمنعوا البروتستانت من محاولة الاكثار من نسلهم وهذا نزوع غير كريم يخلو من الأريحية والعطف الانسانى •

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية أن أى اتصال جنسى أو أى جماع مهما كان الداعى له حتى من خلال الحياة الزوجية جرما وخطيئة واثما بالغــا •

وقد بلغ التشدد فى الكنيسة الكاثوليكية أن ترى عقم الزوجة وعدم صلاحيتها للانجاب غير مبرر لاجازة الطلاق وهذا ــ فى نظرى ــ مما أدى الى التمرد فى كثير من الأحيان على الكنيسة والخروج على تعاليمها •

ولا أتصور أبدا ولا يتسع ظنى أن يقوم زواج وينجلى فيه عقم الزوجة دون اباحة الطلاق أو حتى يمكن السماح بزوجة أخرى •• ولا أعتقد أن العدل الالهى يغفل مطلب البدن والحاح الجسد باشباع الشهوة الآدمية ، والا ما خلقها فى كيان الانسان وجعلها محل اثارته بين حين وحين فى متباين أطوار حياته • ولذلك جاءت البروتستانتية فنبذت حياة العزوبة التى تشبثت بها الكنيسة الكاثوليكية فالكنيســة الكاثوليكية قررت حتمية الاعتراف والتوبة والكفارة والغفران على يد الكاهن ، أما البروتستانت فلا اعتراف عندهم ولا غفران ، اذ أن البروتستانت أكثر وأشد وأغنى استهوالا للفسق من الكاثوليك •

ليعلم الجميع مدى ما وقع على المرأة من جور ، وأهمه على الاطلاق ما يتصل بالجور النفسى الأليم الذى عاشت فيه وجرت فى غماره أيامها ، وكيف لا وهى تجد أن مساس الرجل لها يقلل من قداستها بل يهوى بها الى أدنى مرتبة ، درجة الفسق والاثم •

ناهيك عن نظرة الاحتقار والازدراء ، فهى تشعر أنهـــا فضلة المجتمع ••

وتحت ستار العفة والطهـــارة والتقديس أهينت المرأة وفقدت عواطفها ، أو حرمت التمتع والتلذذ بهذه العواطف مما جعلها ترزح تحت نير العبودية العقائدية المتشددة المسلطة شفرتها على رقاب النسوة طرفا طويلا من الزمان •

ولمـــا كانت الشرائع القديمة تبيح التزاوج من الأشقاء حيث تزوج سيدنا ابراهيم أبو الأنبياء من أخته لأبيه سارة ثم جاء استهجان ذلك بعد حين ••

ولمـــا أن جاء الاسلام جعل الزواج سنة مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رغب عنها ــ أى عزف عنها ــ فقد رغب عن نبى الله عليه الصلاة والسلام ••

* * *

الفصل الثالث عشر

المرأة طبيبة ومحامية

المرأة .. ما أروع وما أجمل أن تكون طبيبة ، آسية للنفوس شافية للأرواح ، مطببة لأوجاع الناس ، فقد يشفى مريض من مجرد بسمة وآخر من لمسة حانية ، ولا جرم أن طبيعتها نتوافق مع هذه المهنة الرقيقة ..

ولقد كن نساء الأنصار والمهاجرين يخرجن مع المسلمين يصحبنهم فى الغزوات .. يداوين المرضى ويسعفن الجرحى ..

ولمـا شج النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد وسال دمه الكريم داوته ابنته فاطمة برماد ورق أحرق لساعته فكبس به الجرح ، ذلك لأن الرماد بعد الحرق طاهر لا يلوث الجرح ، وهذا طب حسن بمعيار أيامنا هذه ..

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تعرف كثيرا من الطب الشافى فى عصرها فكانت النسوة يختلفن اليها لتصف لهن الأدوية الشافية ، المعالجة ، حتى أن هشام بن عروة قال لها :

« انى لأعجب من علمك بالطب . فممن تعلمت هـذا يا خالة ؟

قالت : ان النبى صلى الله عليه وسلم لما طعن فى السن كنا ندعو أطباء العرب والعجم فيأتون فيصفون له فنعالجه ، فمن ثم عرفته » ..

وكانت تقول : « كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظ » .

وكان عجب هشام من أمر خالته عائشة أنها كانت تصف العقاقير والأعشاب القديمة فى معجم الطب العربى وهى لم تدرس الطب ولم تتلق علما متصلا بالطب لأنها تزوجت النبى صلى الله عليه وسلم وهى صبية ، وعاشت فى بيت النبوة أما للمؤمنين بكل تبعاتها ومسئولياتها ، ولكنها كانت حصيفة العقل أريبة ذكية ، كما روى ذلك معاصروها ، وهذا كله فضلا عن الجمال الساحر الخلاب مما جعلها أحب أمهات المؤمنين الى روح وقلب النبى صلى الله عليه وسلم ..

من الممكن أن تنجح المرأة فى مضمار الطب نجاحا باهرا ويصاحبها التوفيق والسداد لدرجة كبيرة ، ولكن فى بعض الفروع الخاصة ربما تكون أكثر توفيقا مثل أن تكون طبيبة للأطفال ، أو أن تكون طبيبة أمراض نفسية ، أو أن تتخصص فى علم أمراض العيون ، ولا يمنع أن تكون أخصائية ناجحة فى أمراض النساء والولادة ، لكن الجراحة العامة ، وجراحة المسالك البولية ، أو جراحة الأنف والأذن والحنجرة قد لا تتوافق معها لأنها تحتاج الى سواعد قوية ، متزنة تملك المشرط وتعرف المبضع بوقار وحكمة وفطنة وشجاعة ، وربما تكون ظروفها الطبيعية لا تسمح بذلك ، فهى تقضى أغلب شهور السنة فى حالة طوارىء مع نفسها فعندما يحدث الحمل تعانى مثل أية امرأة أخرى من عوارض الحمل ومتاعبه ، وقبيل الوضع نراها محتاجة للراحة ، وبذل أقل مجهود

حتى تتفادى المضاعفات بعد الولادة •• وهكذا فربما يكون ذلك مانعا من اقبالها على هذه الفروع فى فن المعرفة الطبية ، لكن لا يمنع أن تبرع فى هذه النشاطات . وتنبغ فيها بكافة السبل بكفاءة واقتدار ••

* * *

والمرأة المحامية عندما تكون مسلحة بشىء من الفصاحة واللسن والجمال ، تبرع فى تمثيل أدوار الاستعطاف والاستجداء والتماس المعاذير ، وطلب العفو والصفح الجميل ، وتخفيف العقوبة ، وهى فى كل محاولاتها تكون مقبولة مسموع لها مقدرة ظروفها ، ولذلك حجر الشرع الحنيف عليها أن تكون قاضية أو ممثلة للنيابة لأنها لن تقيم العدل بين الناس . ذلك لأن التحكم العاطفى فى منهجها يمكنه التدخل لتوجيه وتحوير بعض الحقائق المنصفة للحق والعدل ••

وتثبيت دعائم الحق والعدل محتاج الى قوة وحزم وهذه القوة ، وهذا الحزم يفتقدان فى المرأة بصفة عامة ••

* * *

المستأسدة والحب ..

يختلف الوضع تماما بين الهيئة العــامة قبل الزواج والصورة الشاملة بعد الزواج عند المرأة ، وبقدر السعادة فى الحب العائلى يكون مدى اهتمامها بمظهرها الخارجى ، لأن التبرج عادة يعزوه علماء النفس الى ظواهر باطنة خفية عن أعين الرقباء ..

حتى أن علماء النفس يرون لكل لون تهتم به المرأة وتستبشر به جعلوا له تفسيرا وتأويلا خاصا :

فاللون الأبيض : يرونه دليل الصفاء والطهر والنقاء ..

واللون الأحمر : للعاطفة الصادقة والحيوية والشباب والحماس .

واللون الأصفر : للغيرة والحدة والحقد والحسد .

أما اللون الأسود : فهو دليل الوقار والاحتشام وفرط الحياء .

واللون الأزرق : دليل الوئام العاطفى والهدوء النفسى والاستقرار .

أما اللون البنى : فهو قد يدل على عدم الاستقرار أحيانا .

وهناك بعض الطباع النافرة التى تطغى على مزاج المرأة كأن تكون شديدة الانفعال سريعة الاحتداد مع الغير ومع النفس وهذا من طبائع بعض النفوس وفى هذه الحال لا يستقيم لها أمر ولا يصلح لها حال الا مع نوع خاص من الرجال لابد أن يتسم بالبرودة الشديدة وهدوء الأعصاب حتى يتسنى له أن يذيب حرارتها وتمتص برودته حماسها والتهابها ..

وبالمثل مثلما توجد المرأة حادة الطبع نافرة السجايا ، نرى أحيانا أخرى هادئة مستقرة ثابتة ناعسة ، وهذه تتلاءم مع كل أذواق الرجال على متباين نزعاتهم ومختلف طبائعهم ..

النوع الثالث : امرأة خطيرة الشدة شديدة الخطورة تراها هادئة وديعة فى براءة الطفل الصغير ، رقيقة رقة النسيم لكنهـا فى لحظة سريعة خاطفة تتحول الى حيوان وحشى غير مستأنس تفتك بغريمها ، دون ما هوادة ورحمة . شخصية معتلة طبيا ..

وقد شكا الى كثيرون من نسائهم ، حتى أن آصرة الزوجية ورباط الحب قد تراخى بينهما بسبب انفعالاتها مرارا وتكرارا ، وعدم الانصياع لحقوق الزوجية ..

ويقول علماء الطب : انه طالمـا تأتى فترات زمنية ولو متباعدة بين حين وحين تكون فيها سوية المزاج هادئة الطباع فان العلاج فى هذه الحالة يكون سهلا ميسورا وتكون فرصة استوائها عظيمة ، لأن التغير فى منهجها أو فى سلوكها عرضى زائل لا يمكن أن يستمر طويلا بعد حين .

ولكن المعروف أن المرأة بتقدم السن تزداد ثوراتها العصبية لاسيما بعد سن اليأس حيث تذوى نضارتها ، ويذبل جمالها ، ويخبو نورها ، فتصبح الحياة والمشاركة معها جحيما لا يطاق ..

ولقد رأيت المرأة من واقع الحياة ومن صميم التجارب وفى أطوار مختلفة من العمر رأيتها ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب والهوان والبلاء والكرب العظيم ..

ولا تستسلم المرأة أبدا بأى حال من الأحوال الى غريم لها أو لدود الا اذا وقعت فى حبائل حبه وشرك خداعه ، وهذه المستأسدة سرعان ما تنقلب من أسد شرس متوحش الى قطة وقورة وديعة مسكينة يعوزها شريك الحياة الرقيق حبا وقلبا وقالبا ••

وهذه الوسيلة يلوذ اليها الكثيرون من الشباب ممن تتوفر لديهم براعة التمثيل واجادة أدوار العواطف ، ومنهم ترى الشاب بصيرا بتقاليب القلوب ، يعرف مداخل كيان المرأة فاذا كانت له عندها حاجة على درجة كبيرة من الصعوبة أو الخطورة فانه يختلق ويداهن ويصانع بذكاء ولوذعية ويمثل دور قيس بن الملوح مجنون بنى عامر شيئا فشيئا ، وبعد لحظة زمنية طالت أم قصرت لابد أن تستسلم المستأسدة القاسية الغليظة الأسلوب فتنحدر الى دنيا المراتب وتعيش حياة الطفولة تنشرح خاطرها كلمة وتفرح مزاجها بسمة الرجل الخبير الممارس لكل ضروب الفن التمثيلى ، وتنظر اليه عند ذلك نظرة الحبيب المتيم الى حبيبه المثالى ، وتتمنى ارضاؤه بشتى الوسائل ، ولا تخيب له طلبا أو تهمل له رغبة ، لأنه المحب المتصنع والمحبوب الحقيقى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » •• وفى رواية : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » ••

والمرأة المسترجلة فيها طابع حدة وجفوة وغلظة تحاول بها أن تندرج تحت الجنس الأقوى — جنس الرجال — لكن هذا يشين مظهرها ولا ينسجم مع أنوثتها التى قدرها الله سبحانه وتعالى لها ••

ونحن نرى من واقع الحياة كثيرا من هذه الطرازات التى تشهد بها الأيام ، فلقد كان لى صديق كبير عالم محترم وله من الأبناء ابنة واحدة وولد واحد ، وكان يملك من متاع الدنيـــا بضعة ملايين من الجنيهات وقليل من العمارات ، وشيئا من المجوهرات وفيلا رائعة السحر والجمال وكان رحمه الله طيب القلب تقدمت به السن حتى أنه ناهز العمرين وزوجته كانت سيدة مثالية لكنها معتلة الصحة منهوكة القوى وصحتها لم تكن تبشر بالعمران طويلا ، وكان الرجل دائم الشكوى لى من ابنته ، ذلك لأنها لا تنصاع لتوجيهاته أو تأتمر أوامره رغم أنه أستاذ جامعى كبير معروف بين جميع الأوساط الثقافية والعلمية والأدبية والسياسية ••

وفجأة دخلت عليه ابنته بشـــاب لم يعرفه من قبل ، وقدمته للعائلة بأنه جاءها خاطبا •• فقال لها الأب الدكتور : نسأل عنه ونستفسر عن أحواله ونستقصى عن ظروفه ، فاذا بها تصرخ فى وجه أبيها متنكرة لكل القيم متجاهلة لكل أسباب البروتوكول واللياقة والذوق صارخة فى وجه أبيها : أنا سألت عنه واقتنعت به ، وأرضاه لنفسى ، وما رأيكم فى انبيت هنا الا استشارى ولا غير •• وسأتزوجه •• وأجهشت بالبكاء •• وتفطر قلب الأب الشيخ العجوز حزنا وأسى ولوعة لا على حالة ابنته النفسية ولكن على ضياع الخير من الدنيا •• وكان بديهيا أن تلقى الفتاة الجميلة بكل عواطفها للشاب الخبير المارس رغم أنف أبيها العالم الجليل وكان لابد أن تظهر أمامه بمظهر الوداعة والألفة ولين الجانب بصوت خفيض كأنه همسات النسيم الوانى ، وكان حتميا أن تخفق

فى زواجها هذا وأن يستبدل زوجها بها زوجة أخرى فيها الخير كل الخير لأهلها وذويها قبله •• ولمـــا أن قص على أبوها القصص قلت له : ما قاله الشاعر العربى العظيم :

وقسا ليزدجروا ومن يك حالمـــا فليقس أحيـــانا على من يرحم

* * *

الفصل الرابع عشر

هل تعلم أن المرأة ...!!

سألتنى الفتاة الغانية .. ولكن ما صلتك بالشيوخ ؟

أجبت : اننى أحبهم .. فى الله .. لأنهم أساتذتى .

قالت : وأنا لا أحبهم .

سألتها : لمــاذا ؟

أجابت : لأنهم يجمدوا الأشياء السهلة .. والله واسع المغفرة والزمن يتغير ولكن تفكيرهم لا يجارى العصر .

سألتها : هل تصلين ، وهل تصومين شهر رمضان ؟

وكان لسان حالها يقول لا ، وان كذبت وأفادت بالايجاب وسرعان ما أردفت وقالت : أنا لا أعترف بالأحاديث النبوية ولا اجتهادات العلماء ، ذلك لأن جميع الأحاديث المنسوبة للنبى مدسوسة ومنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم ..

ومما أسفت عليه كل الأسف أنها جامعية وأستاذة بالكلية ولكن قلبها غلف وفكرها التى توهمت أنه مفتوح انما هو متجمد لأنها تأخذ ما يعجبها وتترك ما لا يعجبها ولا يتفق وهواها ، ومن التطرف الذى بلغ حد الاسفاف أنها قالت :

أنا أقرأ القرآن ، والقرآن يخاطب العقل والحمدلله عقلى ناضج واع فلست محتاجة الى ايضاح الشيوخ أو بيان العلماء أصدقائك •

واستشعرت أن صلتى وحبى للشيوخ والعلماء يثير فيها كمائن الغيظ والثورة والاستفزاز فقلت لها ما قاله الامام الشافعى رضى الله عنه :

أحب الصالحين ولست منهم لعلى أن أنال بهم شفاعة

وهنا تداركت مدى ما وصلت اليه هذه الفتاة المتعلمة التى تدرس للنشء فى الجامعة من غباوة حقة رغم علمها الوفير ومادتها الغزيرة ، الا أنها فتنة وقانا الله شرها ••

ظللت أجاهد كلمات قاتلة فى نفسى حتى لا أجرح شعور هذه الجاهلة ، لكنى اكتفيت بالقول لها : أنت أيتها الفتاة شهادة لنا لا علينا !! الحمد لله الذى جعل بيد الرجل عقدة النكاح والطلاق • عقلها متحجر وفكرها مغلق ، وأفقها محدود ، ورغم أنها فى صبوة ورقة وجمال ، ولكن حساسيتها المفرطة وغباءها بالتشنج والحقد على جلة الشيوخ والفقهاء ، أهدر جمالها وجعل صورتها مهتزة فى المتحدث اليها أو الناظر اليها ، وان مظهر المرأة وهى تتشدد فى أمور فوق درجتها ، وقضايا لا صلة لها بها نجده مشينا ، منفرا ••

* * *

المرأة ليست مطالبة بالاجتهاد فى المنهج القرآنى ، وليس لها أن تقود مدرسة قرآنية أو تتزعم فكر طائفة مذهبية كما لا يجوز لها أن تفسر كتاب الله على هواها ، لأنها ناقصة عقلا ودينا •

وهذا رأى خاص أراه فى المرأة بوجه عام رغم أنى لست عدوا ولا مناهضا لهـا انما مشفقا عليها ، أن تقع فى الهاوية تتردى وهى غير شاعرة بالاثم أو المعصية ••

ولم أر فى حياتى — بعد تجارب طويلة — أقبح من المرأة المتعلمة التى تحاول أن تثبت لك بالجدل أنها تعلم وهى لا تعلم ، فهناك أناس يجادلون لئلا يفهموا ، ولا يضايقنى مثل الذين يجادلون لكى يثبتوا أنهم يفقهون وما هم بفاهمين ••

* * *

يعلم الله أنى ما أقدمت على تأليف كتاب متصل بالدراسات القرآنية الا وارتعدت أوصالى مخافة أن يسقط من مادته شىء ما سهوا أو أن أسرد رأيا أو حديثا يكون منسوبا للنبى بغير الصواب فأظل أجتهد وأجتهد وأبحث وأتشاور تارة مع نفسى فى خلوة هادئة ، ثم أتشاور مع أصدقائى وزملائى من الشيوخ الكرماء والعلماء الأجلاء فى مواضيع تناوله ولا يمنع أن يقرأه أكثر من عالم قبل الشروع فى طبعه ••

كل هذا جزعا من اجتراح السيئات وخشية من انتهاك الحرمات ومخافة أن يقع الانسان فى وزر لا يطيق عقوبته يوم الزحام ، أو أمر من الأمور يعاتبه فى فتواه النبى صلى الله عليه وسلم ، بل انى حرصت كل الحرص الا أقدم كتابا يتناول التفسير القرآنى علميا أو نظريا أو تطبيقيا الا بعد أن تطمئن جوارحى اليه فأرى فى المنام أنى فى المسجد أصلى بالمسلمين اماما فى اتجاه القبلة وفى تلك الأثناء تطمئن خواطرى ويهدأ روعى ، وأشعر مع هذا كله أنى لا زلت أستزيد ، وأطلب العلم وما أحسبنى قد

بلغت منه مبلغا يرضينى ، ولكن كل ما قدمته وأقدمه للمكتبة الدينية والفكرية انما أشعر أن يد الله فيه ظاهرة وسابقة •

ويزيد من اتعابى أن أرى مثل هذه الفتاة المتعالمة وهى على جهل خطير أن تقرأ من القرآن ما تشاء وترفض ما تشاء وتجتهد فى القرآن على هواها ، فى تعصب ذميم لا يصدر الا مع الغبـاء العظيم ، وهى لا تصلى المكتوبة ولا تصوم الشهر وهذا من غضب الله عليها ، وعلى العصر الذى أعطاها ما ليس من حقها ، وكبل الرجل بقيود حديدية حتى لا يملكها ولا ينفذ ما أمر الله به ••

* * *

قالوا لابد للمرأة أن تتعلم كل جديد فى تربية النشء حتى يخرج للحياة بسواعد قوية ، مستويا بعيدا عن العقد النفسية فاذا بها تتعلم كل شىء ما عدا تربية الأبناء ، وتركت أجيالا مهلهلة غير ملتزمة بالقيم بالمرة لأنها لم تعد أيضا مهتمة بشئون بيتها أو بشئون أبنائها وزوجها ••

* * *

كم تفننت الحيـاة فى تعذيب الأبرياء ، ولم أر شقيا مثل ذلك الذى يتلظى فى الجحيم على أيدى امرأة لأن المرأة فى لحظات تملكها لا ترحم ولا تترك فرصة ضد غريمها الا انتهزتها ، ويتفق جميع بنات حواء على أن الحب هو أساس الزواج ، ولذلك نجد بعضهن يصرفهن الحب عن الزواج ، حتى يمضى بهن قطار العمر وتفاجئهن غمرات سن اليأس وانقطاع الطمث ، ومع هذا كله الحسرة والألم الشديد •

* * *

يدرك المتزوجون أن سعادة الحياة لا تدوم الا بدوام العشرة واتصال الألفة بين الرجل والمرأة ، ولذلك وضع الاسلام قاعدة الحب الثابت بدلا من الحب المضطرب ، فى رباط مقدس ولكن النصيحة للزوجين معا ألا يتخذا منهجا فى أمر الزوجية مثل منهجهما فى الأكل والشرب من حيث الميل الى كل جديد والشغف بكل غريب ، فان الحب الشهوانى قاعدة الزواج المتصدع من أساسه ، فان أى امرأة متزوجة تنشد الجمال فى زوجها لا خير فيها •• لمــاذا ؟ لأنها من الممكن أن تستبدل هذا الزوج بآخر أجمل منه ، وكذلك الرجل الذى ينشد الجمال وهو متزوج لا خير فيه لأنه فى لحظة خاطفة قد ينقاد وراء شهوته باندفاع غريزى لقاء لمسة جمالية تنبه مشاعره وأحاسيسه ، فيعطى نفسه بغير روية وبغير اكتراث وهو لا يلوى على شىء ••

* * *

والفضيلة طريدة من وجدان السفهاء ، فهى لا تلقى فيهم صدرا رحبا ، ولا أفقا فسيحا ، ولا مكانا لائقا ، وهى غير منكرة أبدا انما مجهولة عندهم أو فى نظرهم عند غيرهم ••

لا يغنى المرأة ذكاؤها ان لم يكن وراءه عقل راجح يجملها فالعقل الكبير يزين جمال المرأة ، والعقل السطحى يشين جمالها ، وقد يسىء اليها أى اساءة ، فالذكاء غير العقل تماما ، فاننا قد نجد رجلا صارخا فى ذكائه لكن تصرفاته تجعلك تظنه مخبولا أو مأفونا لأول وهلة تلقاه فيها •

وقد يوجد رجل متواضع الذكاء لكن عقله كبير يستطيع أن يستغل هذا الرصيد البسيط من الذكاء استغلالا حسنا فيستفيد منه كل الافادة مثل ذلك اللص على قدر كبير من الذكاء لأنه يتحايل ويراوغ ويبرع

وينبغ فى اخفاء الحقائق ، وهو يستغل ذكاءه فى الاضرار والأذى ، والعدوان ، ولو أنه صرف هذا الذكاء وهذا النبوغ الى نشاطات الحياة ، لعاش حياة سعيدة فى رخيم العيش ، هادىء البال ميسور الحال فى اطار الرزق الحلال وتكون له حسنات مقابل كدحه فى سبيل لقمة العيش .

مثل ذلك المرأة البارعة الذكاء فتستغله فى الثرثرة ولا تستغله فى اسعاد زوجها وتوفير أسباب الراحة له ومقومات السكن والمودة والرحمة .

والا ما جعل القرآن والاسلام القوامة للرجل على المرأة ، والوصاية على شئونها رغم ما نادى به المغرضون المتجاهلون للشرع من حقوق للمرأة ليست من حقها .

* * *

وتتمة لهذا الفصل أحب أن أقول ملاحظة جديرة بالبحث والتحري : وهى أننا نجد الذين يجادلون فى منهج الحق تبارك وتعالى انما هم ممن لا يلتزمون ولا يخشون من الله قصاصه منهم جزاء ما يجترحون من التطاول على ملته السمحة ، وما يقترفون من الآثام .

نراهم لا يقيمون الصلاة ويتناسون أداء الزكاة فى أموالهم ولكنهم يجادلون فى مشروعية زواج المتعة أو الزواج العرف ، وترى الرجل بعيداً كل البعد عن الدين القيم الحنيف يرتكب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولكنه يسأل هل التدخين حلال أم حرام ، والغريب مع ذلك أنه يجادل بتشنج وتشدد وبذاءة وكأنه غيور على الدين والدين منه براء ..

ولكننا لابد أن نقول أن الايمان هو علة كل حكم صدر من الله ، وفى لقاء سابق لى مع فضيلة الامام الشيخ محمد متولى الشعراوى قال :

لى : ان الايمان المطلق بالله جل شأنه لا يتجزأ فاما أن تؤمن أو لا تؤمن ، لك حق الخيار ولكن اذا أقبلت مختارا على الايمان فتقبل كل ما يكلفك به الحق سبحانه وتعالى دون أن تناقش أو تجادل فى جزئية من جزئياته ، والا ستكون قد رجعت فى قضيتك الأولى •

* * *

الفصل الخامس عشر

ومن الحب ما قتل ...
وفاء فتاة قتلها الحب

هذه عاطفة نبيلة نشرت قصتها فى مجلة الهلال العدد التاسع للسنة السابعة والثمانين فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ م ، فى الباب الخاص الذى أقوم بتحريره ..

وقد أثارت كوامن شجونى هذه الحالة بما فيها من خصال نبيلة وطباع كريمة ، وهى تؤكد أن هناك عنصرا طيبا ، ومعدنا ثمينا فى جنس حواء لا يزال بخير ما بقيت الحياة ، وقد قررت نشرها حتى لا أحرم الغير من متعة الاثارة الانسانية مثلى ..

فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها من أسرة كريمة محافظة أحبت طالبا بكلية الطب مناها ووعدها بالزواج بعد تخرجه ، الا أنه لم يف لها بوعده ، وكان الناس قد عرفوا أنهما متفقان على الزواج .

لكن الشاب الغير ملتزم بعهده معها اعتذر لها بأن هناك عوائق شائكة تقف حجر عثرة أمام تتويج حبهما القديم بالزواج الـ...

ومرت أيام ، وفجأة أصيبت الفتاة بالشلل التام فى يدها اليمنى التى كانت تكتب الى حبيبها بها خطابات الغرام ، ذلك الحبيب الذى نسيها فجأة وتنكر لحبه لها ، وهى رغم هذا كله لم تنسه بعد ..

وقد شخصت حالة الفتاة على أنها « شلل هستيرى » نتيجة تدفق عاطفتها فى مداد القلم فى رسائلها الغرامية لحبيب قلبها ، وكأنها عبرات مسفوحة فى رمال صحراء قاحلة ، وهذه بالطبع ليست مرضا عضويا ذلك لأن الأعضاء والأعصاب كلها تعمل فى تواتر وانسجام وأن عمل البدن الفسيولوجى الوظيفى منتظم الدوران والايقاع تماما ..

وكم جنى الاخلاص والوفاء على أمثال هذه الفتاة ممن تأصل فى نفوسهن اجلال العواطف وتقديس المشاعر الانسانية النبيلة ، وقلت فى آخر الرسالة ان علاج هذه الحالة من الشلل الهستيرى لا يكون بالعقاقير ولا بالأدوية وليس بالعلاج الطبيعى كذلك انما بمحاولة النسيان ، فهو العلاج الشـــافى ، وهنا ندرك نعمة النسيان على بنى الانسان والذى يراه الكثيرون نقمة على البشر ..

* * *

تعقيب :

اذا ما نظرنا الى هذه الرسالة لهذه الفتاة نظرة تحليلية ، نقول انها قد وقع عليها جرم عظيم وغرم أعظم ، فهى صادقة فى حبها كل الصدق ، والفتى كان مصطنعا حبه لها لأنه لو أخلص لها حبه لما تركها بعد تخرجه من كلية الطب وأصبح طبيبا محترما ..

ولو قلنا انه ربما يكون قد اكتشف فيها ما يكره ، فان الحب يشفع أكثر مما نتصور من مخالفات ومن محرجات ولكنا يغلب علينا الظن أن الحب فى هذه الحالة من طرف واحد ..

وقد قال أكثم بن صيفى حكيم العرب القدماء : صلوا من رغب اليكم . والصلة لمن يرغب الينا بالمودة وتبادل الحب .

ولو يعلم الشاب ما يصيب الفتاة التى تتعلق به وتكلف بهواه من أضرار وايذاء وجراح ما غبن خاطرها فى هجر مباغت مفاجىء ، وليكن قطع الصلة تدريجيا وليس مرة واحدة ، لأن الانسان أو الجسم الآدمى مخلوق من عصب ودم وهما قابلان للاحتراق ..

هب أن شابا التقى بفتاة على طهر وعفة وصفاء على أساس التفاهم من أجل الزواج .. نحن لا نمانع فى ذلك ، ولكن ربما تقع الفتاة فى حبه ، ويقع هو الآخر فى حبها فيكون الحب العارم المتبادل مدعاة للاندفاع فى مراهقة غير محمودة العواقب لأن كلا منهما لابد أن سيقدم

تنازلا كبيرا فى أشياء قد يتراجع بعد حين فى موقفه منها وهنا يقف مع نفسه ومع الطرف الآخر وقفات طوالا منها ..

اذن فالحب عندما يكون من طرف واحد فيه رحمة عظيمة من رب العالمين فى كثير من الأحيان ، لأن الحب من طرف واحد غالبا ما ينتهى بفشل مشروع الزواج وتوقفه مسيرته لأن الطرف المغير جاد فى حبه يكون حكمه فيمن يهواه موضوعيا متجردا من الشهوة ، وهو على طريق حب العقل وليس حب العاطفة ، فان حب العقل ينظر الى صورة المستقبل بينا حب العاطفة انما يقتصر على حب الحياة الحاضرة وهو ينظر من حوله ولكن لا ينظر أمامه ، وتلك هى نقطة الخطر فيه ..

وكذلك فقد يحب الشاب فتاة ويتعلق بها وتمنيه بالزواج وتمد أمامه بساط مودتها وتقرب منه أعطافها وطيب رضاها فجأة وعندما يلوح فى الأفق آخر مرموق المكانة رفيع الدرجة سامى المراتب سرعان ما تلوى عن فتى الأحلام الأول وجهها وتنصرف عنه ، ثم تنصرف الى فتى الأحلام الثانى ، وكما قال الأولون لا يقتل الحب الا حب أقوى منه ، وهنا تتنكر بانسالى لكل أوقات سعادتها مع الأول . والذى لا يملك عطاء الحب لا يمكن أن يسلبه ..

تحت ستار الحب وخلف خيالاته وفى ظلاله الوارفة ونعيمة المقيم ترتكب أشنع وأفظع الجرائم الخلقية التى تعافها الطبائع الشريفة وتنفر منها السجايا الحرائر ، والحب براء من هذه كلها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ..

فلابد للفتاة أن تجيب الفتى لطلبه .. وما هو طلبه ؟ تثبت اليه أنها تحبه بالتبادل ؟ وكيف يتم ذلك ؟ بالعطاء .. لأن الحب عطاء .. وكيف وما الذى تعطيه ؟ تعطيه عاطفة عملية يتوهج لها الفسفور ويشتعل من حرارتها مصباح الكهرباء والا فلا .. وان لم تتجاوب معه فانها باردة لا تثير الغريزة متجمدة العاطفة ولا يجب أن تفكر فى الزواج .. وأمام هذه التهديدات السافرة المتصلة الالحاح ترى الفتاة نفسها فى مأزق حرج وأمام مشكلة مستعصية فى نظرها .. تخاف وتخشى أن ينصرف عنها قلب حبيبها ان لم تنفذ اليه ما طلب .. فيكون فى ذلك التهلكة والتردى والمهانة والاذلال ..

ولابد أن يفرق الشاب بين الدلال وبين الصدود ، لأن بين الدلال وبين الصدود لمحة خاطفة يفكها العقل الحصيف والفكر الراجح والتجربة الواعية والحكمة الأثيرة والذكاء اليتيم ، وكم يتوقع الشاب حبا جارفا على أنه دلال وهو صدود فى حقيقته ..

وكم يحسب الشاب الغفل صدودا حاسما وكراهية على أنها مقت وزهد واقتصاد فيه ، وما هى فى الواقع كذلك انما تلك من ضروب الدلال الذى يضفى على المرأة جمالا وورونقا وبهاء وجلالا وسحرا وروعة ..

فالذى يدخل ميدان الحب ان لم يكن مسلحا بالذكاء الحاد ، والتجربة العتيقة ، والحكمة الواعية دفنته المقادير حيا وذرت دقيق عظامه الهشة رياح الشمال الهوجاء من دون ما رحمة أو توان .. وما نامت أعين المأفونين ..

فقد يحسن المرء فى شىء ، ويسىء بآخر ، ومن له بعلم ما استتر فربما أساء فى الأولى وأحسن فى الثانية ، ومن يدريه بحقيقة الحكم ، فالحكم لابد أن يكون أعلم بهذا وأعلم بذلك ، لكن العلم الفوقى وحده هو الذى يعـلـم ما استتر وما خفى وراء حجب الغيب من كوامن الأقـــدار •

فلا وسع المـــاكرون فى صدورهم من العذر ما لم يوسعوا فى ترك مباح مما تركته نقمة على الشريعة أو تبرما بها أو تمردوا عليها ••

* * *

الفصل السادس عشر

هذا بيان للناس

رأى الأديب الفرنسى الكبير « ليون بلوم » أن الزواج فى العصر الحاضر علاقة لا ينتظم عليها بقاء ولا يصلح بها عشرة وأن الخيانة الزوجية فيه بين الأزواج أصبحت مما لا تطيب عليه العشرة والطمأنينة فى أسرة سعيدة .

واتساع مجال الحيل على القانون يعطى فرصا أكثر للمراوغة والتشويه وتمويه القرائن .

الحياة المصرية أصبحت تؤخر الزواج للشباب المكدود المنهوك المطحون بين المتطلبات العريضة والامكانيات القليلة .

ومن العسير أن تلتئم جراح الأسرة اذا ما عبثت بها صولة الدهر انما يتدخل الطلاق لحسم أى خلاف لأن الأعصاب مشدودة والقلوب مقهورة من المكابدة فى كسب لقمة العيش ، والعقول تحفل بالمعاناة التى لا تدع مجالا للتراخى أو التنازل عن شىء ما لقاء استمرار الحيـاة الزوجية .

وهنا لا مفر من المطالبة بالتعاون المخلص والأمانة من ناحية المرأة

ولابد أن يتسع عقلها وكيانها لكل متاعب زوجها حتى تمتصها فتستجم أقطار نفسه ويهدأ قلبه الثائر الهلوع من عراك الأحداث اليومية فى كسب لقمة العيش التى تضنى وترهق .

* * *

« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون »(١) .

« والعاقبة للمتقين »(٢) حقا وصدقا .

* * *

يا أيتها الأخت المسلمة والمؤمنة .. اعلمى جيدا أنك مسئولة أمام الله عن نفسك وعن زوجك وعن بيتك مسئولية كاملة .

هل أخلصت له وهل قمت بواجبه وعلى شئونه خير قيام ؟

ولتعلمين أنك ستقفين أمام محكمة العدل الالهى المطلق يوم تجادل كل نفس عن نفسها .. والأمر يومئذ لله ..

---

(١) المطففين : ٢٩ ـ ٣٦

(٢) الاعراف : ١٢٨ ، القصص : ٨٣

فلنتقربين من الله سبحانه وتعالى فى السراء والضراء أن يهدينا جميعا سبيل الخير والسداد والرشاد ، وأن ييسر علينا متاعب الحياة وحياة المتاعب ، وأن يهون علينا مصائب الدنيا بقوة الايمان ، وأن يرزقنا طاعته والعمل بكتابه الكريم وسنة رسوله الأمين ، وعليه سبحانه وتعالى وحده قصد السبيل ..

* * *

خاتمة عند غير انتهاء ٠٠ !!

نصيحة لكل امرأة فى حياتها الزوجية ، أن تتسع لنفس زوجها ، وكذلك فلتتسع أيضا لمطالبه منها وستجده تتسع لها نفسه بالمثل وليت المرأة تتفنن فى تطوير أسباب التراحم بينها وبين شريك حياتها تستوعب كل طاقاته وتمتص غضبه ان أهمته الحياة وتمد على بدنه جناحها مثلما تفنن فى بسط أسباب المتاعب والمنغصات وتوطيد أطناب الكراهية ٠

فان كل بيت على الكراهية ان قام لا قديما أبقى ولا جديدا أفاد ومكتوب عليه أن يثلم حده وتلين قناته ويعود بخفى حنين ٠

وان أقــدر النساء على ما أعتقد — هن اللاتى يشحذن طبائع أزواجهن ، فتراهم ناجحين فى أعمالهم أزكى قلبا وأطيب نفسا وأهدأ بالا ، وأفصح لسانا وأجرأ قلبا لأن متاعب العمل تغسل أدرانها نعمة الاستقرار فى البيت ، فتتجدد الشحنات والطاقات كل يوم حتى ما يبدأ يوم جديد الا وتبدأ معه قدرة جديدة متجددة ٠٠

سقطة الزواج قد تشقى طول الحياة ، لأنها تصيب المرء فى المقتل ، ما لم يكن صابرا محتسبا متوقعا من الله سبحانه وتعالى العوض ، والا فما الذى يجدى ؟ ٠٠ ونحن لا نطالب المرأة أن تكون مثالية أو فى مثالية أمهات المؤمنين ، ولكن لتقترب من نطاقها ، فالكمال البشرى متعذر ومستحيل ، وانما المطلوب هو معرفة أصول البروتوكول ومناط

التكليف وواجب الالتزام وأعتقد أن هذا هو المطلب الأسمى عند كل الرجال ، واذا ما توفرت كل هاتيك الطبائع فان كل صعب عدا ذلك يهون وكل أمر ميسور مقبول ، وليت كل النفوس تسير هذه السيرة ، اذن فلن تكون ثمة موجدة ولا قلب متفطر من أسى ولا عين مستعبرة شاكية باكية ، وما عرضت طريق شائكة مقفرة يركبها كل مضطر عديم ، لبس الهرم قبل أوانه واستحال اهابه ، وتحلل عقله وما رحمته نفسه طرفة عين ..

(تم بحمد الله وتوفيقه)

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة	
الاهـــــــداء	٥
المقــــــدمة	٧
الفصل الأول : تشريح نفس المرأة	١١
الفصل الثانى : العقيدة الاسلامية والمرأة . . .	٢٢
الفصل الثالث : الذكر والأنثى	٣٨
الفصل الرابع : بين التقييد والاطلاق .. وكارثة التطور .	٤٦
الفصل الخامس : فرية طبية	٥٤
الفصل السادس : استئصال السرطان بالقرآن . . .	٥٩
عقوبات الزوجة الناشز	٦١
الضرب .. ومقتضيات العصر	٦٢
الفصل السابع : تكلم حتى أراك	٦٤
نصائح أم اياس لابنتها	٦٧
الفصل الثامن : ناموس الجمـــال والزواج . . .	٦٩
الفصل التاسع : المرأة والصحة النفسية	٧٤
الفصل العاشر : الارهاق الجنسى بين الطب والدين . .	٧٧
الفصل الحادى عشر : سؤال وجواب حول الجنس والمعرفة .	٨٤
الفصل الثانى عشر : الزوجية فى الأديان المختلفة . .	٩٤
الفصل الثالث عشر : المرأة طبيبة ومحامية . . .	٩٨
المستأسدة والحب	١٠١
الفصل الرابع عشر : هل تعلم أن المرأة ... ؟! . .	١٠٦
الفصل الخامس عشر : ومن الحب ما قتل ... « وفاء فتـــاة قتلها الحب »	١١٣
تعقيب	١١٥
الفصل السادس عشر : هذا بيان للناس	١١٩
خاتمة عند غير انتهاء	١٢٢
محتويات الكتاب	١٢٥

بعض الكتب الاسلامية التى قامت الدار بنشرها

* **اثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم** ـ لأبى الحسن أحمد بن الحسين الزيدى .
* **أحكام النساء** ـ للامام أحمد بن حنبل .
* **اسرار أركان الاسلام** ـ للامام الشعرانى .
* **اسرار الحج** ـ للامام الغزالى .
* **اسرار الصلاة ومهماتها** ـ للامام الغزالى .
* **اظهار الحق** ـ لرحمة الله الهندى .
* **الأذكار** ـ للامام النووى .
* **الاعجاز الطبى فى القرآن** ـ للدكتور السيد الجميلى .
* **الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام** ـ للامام القرطبى .
* **الباعث الحثيث** ـ للامام ابن كثير .
* **البرهان فى معرفة عقائد اهل الاديان** ـ لعباس بن منصور السكسكى .
* **التبيان فى علوم القرآن** ـ للأستاذ محمد على الصابونى .
* **الحجاب** ـ لأبى الأعلى المودودى .
* **السيرة النبوية** ـ لابن هشام .
* **الطب النبوى** ـ للامام ابن القيم .
* **الطريق الى الهداية** ـ للامام ابن القيم .
* **الفتوحات الالهية** ـ للعجيلى .
* **الفروسية** ـ للامام ابن القيم .
* **القصد والرجوع الى الله** ـ للمحاسبى .
* **الكبائر** ـ للامام الذهبى .
* **اللقاء بين الزوجين فى ضوء الكتاب والسنة** ـ للأستاذ عبد القادر احمد عطا .

* **المرأة فى ميزان الطب والدين** ــ للدكتور السيد الجميلى .
* **المسائل المكنونة** ــ للحكيم الترمذى .
* **المواريث فى الشريعة الاسلامية** ــ للأستاذ محمد على الصابونى .
* **المصطلحات الأربعة** ــ لأبى الأعلى المودودى .
* **النبوة والأنبياء** ــ للأستاذ محمد على الصابونى .
* **تفسير آيات الأحكام** ــ للأستاذ محمد على الصابونى .
* **تدوين الدستور** ــ لأبى الأعلى المودودى .
* **تفسير القرآن العظيم** ــ للامام ابن كثير .
* **حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة** ــ للأستاذ الشيخ موسى محمد على .
* **حليم آل البيت : الامام الحسن بن على رضى الله عنه** ــ للأستاذ الشيخ موسى محمد على .
* **حياة الصحابة** ــ للكندهلوى .
* **خطب الجمعة والعيدين** ــ للأستاذ عبد القادر احمد عطا .
* **رياض الصالحين** ــ للامام النووى .
* سيد **الشهداء : الامام الحسين رضى الله عنه** ــ للأستاذ الشيخ موسى محمد على .
* **صفوة التفاسير** ــ للأستاذ محمد على الصابونى .
* **عدة الصابرين** ــ للامام ابن القيم .
* **عقيلة الطهر والكرم : السيدة زينب رضى الله عنها** ــ للأستاذ الشيخ موسى محمد على .
* **فقه السنة** ــ للأستاذ الشيخ السيد سابق .
* **فقه السيرة** ــ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى .
* **قصص الأنبياء** ــ للامام ابن كثير .
* **من بلاغة النبوة** ــ للدكتور عبد القادر حسين .

* من **خطب الرسول صلى الله عليه وسلم** ـ للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى .
* **من وصايا الرسول** ـ للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى .
* **ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم** ـ للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى .
* **نيل الأوطار** ـ للامام الشوكانى .
* **هذاحلال وهذا حرام** ـ للأستاذ عبد القادر أحمد عطا .
* **يوحنا المعمدان** ـ للدكتور احمد حجازى السقا .

* وبالدار مجموعة كبيرة من المصاحف الفاخرة بمختلف الأحجام والخطوط ومجلدة بالجلد والذهب الحر داخل علب مكسوة بالقطيفة ومطعمة بالصدف برسوم بديعة فخمة ـ تناسب كل الأذواق والامكانيات ، كما توجد بها جميع مطبوعات دور النشر الأخرى . . تشمل أحدث ما ظهر فى جميع العلوم ومختلف الفنون .

تطلب من دار التراث العربى ـ المكتبة : ميدان المشهد الحسينى ـ القاهرة ـ المطابع : ١٣ ش سعد الله ـ الدرب الأحمر ـ القاهرة
تليفون ٩٣٦١٤٥

رقم الايداع بدار الكتب ٤٤٧٠ / ٨٣
الترقيم الدولى ٦ ـ ٠٠٣ ـ ١٦٠ ـ ٩٧٧

دار التراث العربي للطباعة والنشر
ميدان المشهد الحسيني ت ٩٣٦١٤٥

دار العاصمة للنشر والتوزيع
ت ٤٩٣٣٣١٨/ ٤٩١٥١٥٤
٨٠٢٢
٧/ ريال